النظر والتفكر في القرآن الكريم وثمرته

إعداد

د. فاطمة بنت سليمان بن سعد العكوز

الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القران

بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

من ١٤٦٩ إلى ١٦١٨

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين.

دعى الله – عز وجل– إلى النظر والتفكر في أكثر من سبعمائة وخمسين آية في القران الكريم؛ لأن النظر بعين التجرد عن الهوى، وقصد معرفة الحق كفيلاً بأن يهدي الإنسان إلى الصواب، ويرده إلى الحق، ويحمله على التصديق بوحدانية الله، وتفرده بصفات الكمال والجلال، ويقوي إيمانه بربه ؛ لأنه يورث في القلب عظمة الخالق، والقرآن هو الكتاب الذي فك العقول من عقالها، وأطلق النفوس من إسارها، ووجهها إلى النظر والتفكر، وأخرجها من بوتقة التبعية والتقليد، وتشتد الحاجة إلى النظر والتفكر عندما تسيطر الماديات على الناس، ويستغرقون في ملذات الدنيا، ويضعف الإيمان في النفوس، فيأتي النظر والتفكر؛ ليجدد الإيمان وينفض عنه الغبار، ويعيد إلى النفوس همتها؛ لتسعى إلى رضى الرحمن، ونيل الجنان.

أهمية الموضوع:

كان من المقاصد التي حملت العلماء على التصنيف في التفسير، وعلومه من القرون الأولى تقريب، وتوضيح معاني آيات القرآن لعامة الناس دون إسهاب يمنعهم من إكماله ، أو استغلاق عبارة تصرفهم عن فهمه، والنظر في آياته، والتفكر فيها، ولم تزل هذه الحاجة تتجدد بتجدد حياة الناس، وتنوع مستويات ثقافاتهم ، وبعدهم عن لسان العرب الأول، وتذوق مفرداته وتراكيبه .

أسباب اختيار الموضوع

– ما تقدم من أهميته أحد الأسباب؛ لاختياره يضاف الى ذلك :

– حاجة النفس البشرية أن ترسوا ، وتفكر في عظمة الخالق – سبحانه– بفكرها ، وعقلها، وتأملاتها الوجدانية في قدرة الله رب الكون ، به يقوى الإيمان، ويرسخ في فؤاد المؤمن الذي يستنير الحق، ويستهوي الخير.

– إن من العبادات التي هجرها الكثيرون في هذا الزمان عبادة النظر والتفكر في آيات الله – تعالى– الكونية، والشرعية التي دعا إليها القرآن، والسنة، والسلف الصالح ، وهذا الهجر سبب خللاً في الوعي الإسلامي .. إذ أصبحنا نهتم بأمور هي دون عبادة التفكر في الاعتبار الشرعي ، والفائدة المرجوة.

– انشغال الناس في العصر الحالي عن النظر والتفكر في آيات الله ، ولهوهم بملذات الدنيا ، وغفلتهم عن زوالها، واستئناسهم بها، وظنهم باستدامتها، فانصرف الناس عن تلك العبادة العظيمة .

منهجية البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي ، الاستقرائي .

الدراسات السابقة:

وجدت بعض الدراسات التي بحث أصحابها في النظر تارة ، والتفكر تارة أو التفكر في جانب من الآيات مثل الآيات الكونية فقط ، أو النظر في آيات الله في بعض السور، كموضوع مستقل ، أو مبحث ، أو فصل بين طيات بعض الكتب ، وسأذكر بعض منها :

التفكر في خلق الله ، لأبي حامد الغزالي. أحكام العورة والنظر بدليل النص والنظر ،للشيخ مساعد الفالح .

التفكر في القران ، للسيد جعفر الشيرازي . إحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر ، لابن قطان الفاسي.

التفكر ، د. صالح الفوزان . بهجة النظر في آداب السفر، للأزهري أحمد محمود .

عبادات التفكر ، لعمرو خالد. وغيرها من الكتب ، والمقالات ، ولم أجد – حسب اطلاعي– من بحث هذا الموضوع بالصورة التي سيتناولها هذا البحث بالدراسة .

خطة البحث

تتضمن :

المقدمة ، فصلان ، وعدة مباحث ، ومطالب، وخاتمة ، وقائمة الفهارس ، وهي كالتالي :

الفصل الأول: معنى النظر والتفكر وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى النظر ، والتفكر في اللغة ، والاصطلاح.

المبحث الثاني: الفرق بين النظر ، والتفكر.

الفصل الثاني: أقسام النظر ، والتفكر في القران الكريم ، وثمرته ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النظر، والتفكر المأمور به ، وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول: النظر ، والتفكر في آيات الله الشرعية.

المطلب الثاني: النظر ، والتفكر في آيات الله الكونية .

المطلب الثالث: النظر ، والتفكر في الأنفس ، وخلق الإنسان.

الفصل الأول

المبحث الأول : معنى النظر والتفكر في اللغة والاصطلاح

معنى النظر في اللغة:

نظر النَّظَر: حِسُّ الْعَيْنِ، نَظَره يَنْظُره نَظَراً ومَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إليه. والمَنْظَر: مَصْدَرُ نَظَر.

قال الليث: العرب تقول نظر ينظر نظراً، قال: ويجوز تخفيف المصدر تحمله على لفظ العامة من المصادر، وتقول نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب، ويقول القائل للمؤمل يرجوه: إنما ننظر إلى الله ثم إليك أي إنما أَتوقع فضل الله ثم فضلك . قال الجوهري: النظر تأَمل الشيءِ بالعين، وكذلك النظران، بالتحريك، وقد نظرت إلى الشيءِ. " ورد النظر بمعنى التقابل تقول العرب : داري تنظر إلى دار فلان ، ودورنا تناظر أَي تقابل ، وقيل: إذا كانت محاذية."[١] و "النظر في كلام العرب ينقسم أربعة أقسام يكون بمعنى:

الانتظار. التفكر، والاعتبار. التعطف ، والرحمة .الرؤية للأبصار ." [٢]

معنى النظر اصطلاحا:

والنظر فكر يؤدي إلى علم أو اعتقاد أو ظن[١]

---

[١] انظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ ، ٥ / ٢١٥

[٢] شرح صحيح البخاري لابن بطال ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض ،ط : الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، ١٠ /٤٦٠

وقيل: هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته. ولما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه غالبا أجري

لفظ النظر على الرؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب .

وقيل: ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم.

فقيل: النظر عبارة عن حركة القلب لطلب علم عن علم.[٢] (٤)

هو الفكر في حال المنظور فيه ؛ ليؤدي إلى المطلوب.[٣] (٥)

والمقصود به في هذا البحث تأمل الشي بالعين ، والتفكر فيه.

معنى "التفكر في اللغة :

(التَّفَكُّرُ) التَّأَمُّلُ وَالِاسْمُ (الْفِكْرُ) وَ (الْفِكْرَةُ) وَالْمَصْدَرُ (الْفَكْرُ) بِالْفَتْحِ وَبَابُهُ نَصَرَ.

وَ (أَفْكَرَ) فِي الشَّيْءِ وَ (فَكَّرَ) فِيهِ بِالتَّشْدِيدِ. وَ (تَفَكَّرَ) فِيهِ بِمَعْنًى.

وَرَجُلٌ (فِكِّيرٌ) بِوَزْنِ سُكِّيتٍ كَثِيرُ التَّفَكُّرِ."[١](١)

---

[١] الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) ، تحقيق :د مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط: الاولى ١٤١١هـ ، ١/ ٦٩

[٢] انظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)

المحقق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت . ١/ ٩٠٤

[٣] شرح الورقات في أصول الفقه ،جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ) ، قدَّم له وحققه وعلَّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة ،صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة ، جامعة القدس، فلسطين ، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، ٨٣/١

معنى التفكر اصطلاحا :

" التفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء ؛ لدرك المطلوب." [٢]

" هو أنْ يُعمل الإنسان فكره حتى يدرك حقيقة الشيء "[٣]

" والتفكر تفعّل من الفكر وهو البحث عن المعاني بالاهتمام "[٤] قال تعالى :﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]

تفكَّر في الأمر: إذا أدام النظر فيه[١] قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾[٢]

---

[١] مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) ، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط : الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ١ / ٢٤٢ ، وانظر تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ،المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط: الأولى ، ٢٠٠١م ١١٦/١٠ ، وانظر كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ٣٥٨/٥

[٢] التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ٦٣/١

[٣] العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت ، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ،ط: الثانية، ١٤٢٦ هـ ، ٤ /٣٦٦

[٤] دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيِر الآيِ والسُّوَر ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان ،محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير ، دار الفكر – عمان، الأردن ، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م ، ١ / ٣١٦

[٥] سورة البقرة : ٢١٩

المبحث الثاني : الفرق بين النظر و التفكر

الفرق بين النظر والتفكر: أَن النّظر يكون فكراً ، أَو يكون بديهة ، والفكر ما عدا البديهة .

أي أن البديهة أول النظر يقال عرفته على البديهة أي في أول أحوال النظر إليه ، ويقال له في الكلام بديهة حسنة إذا كان يرتجله من غير فكر فيه.

بينما التفكر التأمل "هو النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ولا يكون إلا في طول مدة فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملا. [٣]أي أن الناظر قد يبصر الشيء بالعين المجردة دون أن يتمعن في حقيقته مجرد رؤية عابرة ، وقد يراه أيضاً تأملاً وفكراً فيحقق معنى التفكر الذي جمع بين الإبصار، والتدبر ، والبحث عن ماهية الشي ، ومعرفة أسبابه ، والتفكر يكون باستحضار العقل ، والقلب ، والبحث عن الدليل . به تنجلي الحقائق للعقل ، وهذه هو المأمور به في سير القلوب والأبدان الذي يتولد منه الاعتبار . أمام مجرد النظر من غير اعتبار ، فإن ذلك لا يفيد شيئاً . [٤]

---

[١] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني – د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) ، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، ٨ /٥٢٤٢

[٢] سورة الأعراف : ١٨٤ ، سورة والروم : ٨ .

[٣] انظر الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ، ١ /٧٥

[٤] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م ١/ ٢٥١

الفصل الثاني

أقسام النظر والتفكر في القرآن الكريم و ثمرته

المبحث الأول: النظر والتفكر المأمور به

المطلب الأول : النظر والتفكر في آيات الله الشرعية

الآيات الشرعية هي كل ما ورد في القرآن والسنة النبوية المطهرة، من دعوة إلى الله ، وإرشاد إلى دلائل وجوده ، ووعد ، ووعيد ، وتوكيد ليوم الدين ، والبعث ، وأحكام العبادات ، والمعاملات ، وحض على مكارم الأخلاق ، وعظات ، وأحكام ، وأمثال ، وشرائع ، وقصص ، ونعيم ، وأوامر ، ونواهي، [١]قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٢] وجعل الله مفتاح الإيمان ، واليقين التفكر في آيات الله المتلوة ، وآياته المشهودة ، والمقابلة بين الحق ، والباطل بحسن فهم ، وقوة بصيرة ، شاهده قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٣] [٤]" والتفكر في الآيات الشرعية يزيد في الإيمان بلا شك ، لكن يحتاج إلى أن يكون الإنسان بصيراً في أحكام الشرع، حتى يعرف الحكمة في الأشياء التي شرعها الله ، وهذا يخفى على بعض الناس ولا سيما من أعرض عن ذكر الله ، فإنه لا يفتح له باب المعرفة "[٥] فالعمل بمقتضى تلك

---

[١] انظر موقع جامعة أم القرى : مواضيع القران الكريم

[٢] سورة محمد: ٢٤

[٣] سورة ص : ٢٩

[٤] انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ،للسعدي (٢ / ٣٥١)

[٥] شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، دار الوطن للنشر، الرياض ، ط : الأولى، ١٤٢٦ هـ ١/ ٤٠٨

النصوص الشرعية ، والانقياد لما ورد فيها من الواجبات ، وترك ما زجر عنه الله – سبحانه وتعالى– ونهى عنه رسوله – صل الله عليه وسلم– خير عظيم في الدنيا والآخرة فعلى العبد أن يعي ما في هذه الآيات الشرعية من خيرات عظام في الدنيا والآخرة ، وأن يستحضر قلبه ، وأن يحلق بعقله ، وفكره مع تلك الآيات قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[١] فالله تعالى المتفضل عليك يا ابن آدم ، وهو الذي أوجدك من العدم فإذا استشعر الإنسان ذلك وجد لذة الإيمان في قلبه ، ونال السعادة في الدنيا ، والآخرة ، ولهذا التفكر ، والنظر خير عظيم عليه فهو يحضه على الطاعات ، وفعل الصالحات ؛ لأنه أوجد في قلبه هيبة ورجاءً من الله تعالى ، فعليه أن يعيش مع الآيات ، فيرى نعيم الجنة لتسمو نفسه ، وتتوق اليها ، ويتفكر في أهل النار ، وماصلوا له من عذاب وجحيم ؛ نتيجة أعراضهم واستمرارهم في غيهم فيتعظ بذلك ويحاول النجاة بنفسه ، والإقبال على الله.

ايضاً عليه أن ينظر في القصص ، والعبر ، والأمثال قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] ويتأملها ؛ ليعلم الإنسان أنه خلق في هذه الحياة لهدف عظيم ، وغاية سامية ؛ ليجتهد في رضاء الرحمن ؛ لأن النفس إذا علمت حقيقة تلك الآيات جاءت لحظة التأمل، والتفكر، والتدبر، فيتحقق

---

[١] سورة القمر: ١٧

[٢] سورة يوسف: ١١١

[٣] سورة الحشر: ٢١

الأثر الكبير الذي يجلي الدمع من العين ويجعل القلب يسلم ويخشع ، فهنا تسود الطمأنينة ، والراحة لتلك النفس البشرية ، وهنا تكمن السعادة التي يبحث عنها كل مسلم مدرك نهايته في هذه الحياة الفانية ، وقد لا يحصي الإنسان التفكر في جميع ما جاء في الكتاب والسنة ؛ لأن هذا يحتاج إلى بصيرة وعلم شرعي لكن لا يعني ذلك تركها جملة فعلى المؤمن أن يروض عقله ، وقلبه ، وجوارحه إلى النظر ، والتفكر في آيات الله ، وأن يستجيب لخالقه ، وأن ينفذ أحكام شرع الله التي هي نور للعبد في الدارين.

" لهذا فإنه يجب علينا أن نتأمل الآيات الشرعية تأمل استرشاد لا تأمل انتقاد ، حتى يفتح الله لنا من الخير ، ولنعلم أن ما خفي علينا من تلك الآيات إنما هي لحكمة أرادها الله ، وإذا أردت أن تعرف هذا فانظر أحياناً وأنت تقرأ الكتاب، فإنك إذا كنت تقرأه قراءة منتقد على مؤلف فإنك لا تستفيد منه كثيراً ، لكن إذا كنت تراجع الكتاب وتسترشد من مؤلفه فإنك تنتفع كثيراً." [١]

سأذكر على سبيل المثال وليس الحصر بعض الامثلة التي تدل على هذه الآيات الشرعية من الكتاب والسنة مع تنوع المواضيع والمناسبات :

الدعوة الى الله :

قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢]

---

[١] شرح العقيدة السفارينية ، لابن العثيمين ١/٤٠٩

[٢] سورة البقرة : ٢١

وفي صحيح مسلم : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) [١]

دلائل وجود الله تبارك وتعالى:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢]

في صحيح البخاري :حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَغَرِّ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ

---

[١] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ٤/ ٢٠٦٠

[٢] سورة الزمر : ٣٨

لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) [1]

الوعد:

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]

في صحيح البخاري :حدثنا هدبة بن خالد، قال: حدثنا همام، حدثني أبو جمرة، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى البردين دخل الجنة»[3]

الوعيد :

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[4]

وفي صحيح مسلم : حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ

---

[1] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط : الأولى، ١٤٢٢هـ ٨/ ٧

[2] سورة التوبة : ٢٧

[3] صحيح البخاري ، ١١٩/١

[4] سورة التوبة : ٦٨

أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) [١]

توكيد ليوم البعث :

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [٢]

في صحيح البخاري :حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ﴾[٣]

في العبادات :

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤]

في صحيح البخاري : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ﴾[٥]

---

[١] صحيح مسلم ، ٣/ ١٦٨٠

[٢] سورة المؤمنون : ١٦

[٣] صحيح البخاري ، ٨/ ١٠

[٤] سورة الحج : ٧٧

[٥] صحيح البخاري ١/ ١١

في المعاملات:

قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَوۡ وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴾ [١]

وفي صحيح مسلم : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كُلُّ بَيِّعَيْنِ لَا بَيْعَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَتَفَرَّقَا، إِلَّا بَيْعُ الْخِيَارِ) [٢]

الحث على مكارم الاخلاق:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[٣]

وفي سنن ابي داود : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، وَحَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا ح وحَدَّثَنَا ابْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، عَنْ عَطَاءٍ الْكَيْخَارَانِيِّ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) [٤]

العظات:

---

[١] سورة المطففين : ٤

[٢] صحيح مسلم ، ٣١/ ١١٦٤

[٣] سورة القلم : ٤

[٤] سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ٤/ ٢٥٣

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] وفي مسند الامام احمد :حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ أَنَّهُ حَدَّثَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا عِظَةً وَعِبْرَةً، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ فِي هَذِهِ الْأَسْقِيَةِ فَاشْرَبُوا، وَلَا تَشْرَبُوا حَرَامًا)[2]

في الأحكام :

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[3]

---

[1] سورة البقرة : ٢٥٧

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط : الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، ٣/ ١٣٢

[3] سورة الطلاق : ٢

وفي صحيح مسلم : حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا) [١]

في الامثال :

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٢]

في صحيح البخاري : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ) [٣]

في الشرائع :

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [٤]

---

[١] صحيح مسلم ، ٣/ ١٣١٣

[٢] سورة ابراهيم : ٢٤

[٣] صحيح البخاري ، ٦/ ١٩٣

[٤] سورة المائدة : ٤٨

في مسند الامام احمد :حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ، حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ نُوحٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيَّانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ خَيْرُ الرِّجَالِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّه) [1]

في القصص :

قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2]

في صحيح البخاري : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ) [3]

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٢٩/ ٢٢٦

[2] سورة القصص : ٢٥

[3] صحيح البخاري ، ٤/ ١٧٤

في النعيم:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١)

في صحيح البخاري : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عِمْرَانَ الجَوْنِيَّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الخَيْمَةُ دُرَّةٌ، مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلاَثُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لاَ يَرَاهُمُ الآخَرُونَ) قَالَ: أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ، وَالحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ سِتُّونَ مِيلًا. (٢)

في الأوامر:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)﴾ (٣)

وفي صحيح مسلم : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) سورة الزخرف : ٧٣

(٢) صحيح البخاري ، ٤/ ١١٧

(٣) سورة النساء : ٥٩

وَسَلَّمَ: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) [١]

في النواهي:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٢]

وفي صحيح مسلم : وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَخْطُبُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ) [٣].

فهذه الآيات الشرعية التي يتناولها القران في سوره دليلاً لكل انسان على وجود الخالق سبحانه وتعالى ،وفيها تثبت تعظيم القرآن لشأن التفكر ، والنظر ، والاستدلال ؛ لتحصيل العلم بالله ، وشرائعه المنزلة ، وسننه وآياته في خلقه ونعمه على عباده ، وحجة على نقص أهل الجهل بها. [٤] ولا يعرض عنها الا كل متكبر

---

[١] صحيح مسلم ، ١/ ٤٧

[٢] سورة الانعام : ١٥٢

[٣] صحيح مسلم ، ١/ ٩

[٤] انظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠ م ، ٩ / ٤٧٦

جبار قال تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[١]
قيل معناه : سأمنعهم فهم كتابي أي أنزع عنهم فهم القرآن[٢]و"سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين"[٣]

فيتوجب على المسلم ان يعمل بالحكمة في فهم القرآن ، والعمل به ، فلا يكتفى بتلاوة الفاظ الكتاب حتى يعلم معناه، ويعمل بمقتضاه ، فمن جمع له ذلك كله فقد أوتي الحكمة. [٤] قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ

---

[١] سورة الاعراف : ١٤٦

[٢] انظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)
عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ،المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ،١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م
٥ / ١٨ ، وانظر جامع البيان في تأويل القران ، محمد بن جرير بن يزيد ين كثير ابو جعفر الطبري (المتوفى ٣١٠) ، تحقيق : احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الاولى ، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م ، ١١٢/١٣

[٣] تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ،ط: الأولى – ١٤١٩ هـ ، ٣ / ٤٢٦ ، وانظر فتح القديرالجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى (١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير ، الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط:١ ، ١٤١٤هـ ، ٢٧٨/٢

[٤] انظر روائع التفسير (الجامع لتفسير الامام ابن رجب الحنبلي) ، زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن السلامي البغداي ، ثم الدمشقي ، ثم الحنبلي ، جمع وترتيب ابي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية ، ط : الاولى ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م . ٤٢٨/٢

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] قال السعدي : " وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها، فإنها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإيقان." [2]

المطلب الثاني: النظر والتفكر في آيات الله الكونية

الآيات الكونية: وهي جميع ما يحيط بالإنسان ، ويصل إليه بنظره ، وفكره من مخلوقات الله ، كالسماء ، والأرض والشجر ، والجبال ، والدواب ، والبحار ،والإنسان ، ففي كل ذلك آيات باهرات ، واضحات على ربوبية الله تعالى. وقد لفت الله تعالى نظر الإنسان إلى ذلك. في كتابه العزيز فقال عز من قائل ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[3] ، و ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ *وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ* وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ

---

[1] سورة البقرة : ٢٦٩

[2] تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ٤٧١/١

[3] سورة آل عمران : ١٩٠

[4] سورة الذاريات : ٢٠-٢١

[5] سورة الحجر: ١٩-٢٢

[6] سورة النبأ :٦-٧

وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [2]وقوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[7] والآيات الكونية ظاهرة لكل إنسان لا تحتاج إلى كبير عناء في إدراك أن لها موجداً أوجدها له كل صفات الكمال والجلال [8]. ويكفينا من ذلك النظر أن القرآن يأخذنا في جولات وجولات نرتاد آفاق السماء ، ونجول في جنبات الأرض ، ويقف بنا عند

---

[1] سورة النحل :١١

[2] سورة النحل :٥،٦

[3] سورة النحل : ٨

[4] سورة النحل :١٤

[5] سورة النحل :٨١

[6] سورة النحل :١٥،١٦

[7] سورة التين :٤

[8] أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ط : ١٤٢٠هـ- ١٤٢١هـ ، ١/ ٧٩

زهرات الحقول ، ويصعد بنا إلى النجوم في مداراتها ، وهو في كلّ ذلك يفتح أبصارنا ، وبصائرنا ، فيرينا كيف تعمل قدرة الله ، وتقديره في المخلوقات ، ويكشف لنا أسرار الخلق ، والتكوين ، ويهدينا إلى الحكمة من الخلق ، والإيجاد ، والإنشاء ، ويبين عظيم النعم التي حبانا بها في ذوات
أنفسنا ، وفي الكون من حولنا.، ففي القرآن جمال ، ووصف ، ووفرة علم ، واستثارة مشاعر، وحسن توجيه ، ودقة استنتاج ، وكيف لا يكون كذلك وهو تنزيل الحكيم الحميد . [١].

أن التفكر في خلق الله ، والتدبر في كتاب الكون المفتوح ، وتتبع يد الله المبدعة ، وهي تحرك هذا الكون، وتقلب صفحات هذا الكتاب.. هو عبادة لله من صميم العبادة [٢] لا يعي ذلك إلا أصحاب العقول النيرة الذين لهم وقفات مع آيات ، ومظاهر الله الكونية من سماءً صافية ملونة ، وجمال نجم لامع في ليل مخملي ، وقمر مضي ، وسحب تتجلى ، ثم تستتر ، ونهار مشع بلون الذهب في جنباته شمس وهاجة بضيائها على جبال ، وقمم عالية ملونة ، وبحار تكتسي باللائي ، والمرجان ، وطبيعة جميلة براقه ، ونهر عذب ، وبحر هائج في امواجه ، وأرض ندية كسيت بحلة خضراء أبهرت العقول ، وكشفت أسرار الكون أن وراء ذلك الصنع إله واحد سبحانه وتعالى ، والنظر من الأسباب التي يَقوى بها إيمان المؤمن ؛ ولهذا أثنى الله

---

[١] انظر العقيدة في الله ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط: الثانية عشر، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م/١ ٩٨

[٢] انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق – بيروت– القاهرة ، ط : السابعة عشر ، ١٤١٢ هـ ، ١/ ٥٤٥

على أوليائه أولي الألباب أثنى عليهم بالتفكر بالمخلوقات قال تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [(١)] وذكر البخاري في صحيحه : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾، [(٢)]ثُمَّ «قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» [(٣)]" فالتفكر في الآيات الكونية ، والتدبر للآيات الشرعية القرآنية هما من روافد الإيمان، ومما يسقي شجرة الإيمان ، فالإيمان يزيد بالتفكر في مخلوقات الله." . [(٤)] فالإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ، ومعبودة ، وقد جاء ذلك كثيرا في آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى النظر في آيات الله تعالى في الكون ، والتي تدل دلالة بينة على خالقها سبحانه ، وأنه المستحق للعبادة وحده، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

[١] سورة آل عمران : ١٩١

[٢] سورة آل عمران : ١٩٠

[٣] صحيح البخاري، ٦/ ٤١

[٤] شرح العقيدة الطحاوية ، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك ، عبد الرحمن بن صالح السديس ، دار التدمرية ، ط : الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ١/ ٢٤

شَهِيدٌ ﴾ [١] كثيراً ما تأتي تلك الآيات مذيلة بطلب التفكر ، والتذكر ، والاعتبار بألوان من الأساليب البلاغية ، كما تأتي أحياناً باللوم ، والتوبيخ ، والإنكار على من لم يتعظ بذلك ، أو يتفكر ، أو يعتبر. [٢]

قال تعالى:﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ *خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣] وأن مراد الله من النظر في تلك الآيات الكونية هو الاستدلال على أنه سبحانه المستحق للعبادة ، وأن له الكبرياء ، والعظمة ، وأن ما جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حق[٤]فإذا تفكر المسلم بكتاب الله المسطور، وبعجائب الكون المنظور؛ ليصل إلى حقيقة الإيمان، وسكينة اليقين، حتى يرتقي في درجات العبودية، كتب هذا التفكر في زمرة العبادات ؛ لأنه مقصد مستقل من

---

١ سورة فصلت : ٥٣

٢ حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، محمد بن عبد الله زربان الغامدي ،الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى، ١٤٢٣٢هـ/٢٠٠٣م ١/ ١٦٥

٣ سورة النحل :٣-٩

٤ انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ، عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط :الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ١/ ١٣٢

مقاصد إنزال الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم. [1]فانظر أيها الإنسان إلى السماء كيف رفعت ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾[2] ، وبنيت بلا عمد ، ولا قواعد ، ولا ثوابت ، وزينت بالنجوم والكواكب ، والسحب فمن صانعها ؟ أليس الله تعالى الذي أبدع بخلقه كل شيء ؟ قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾[3] ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[4] وقال عز وجل: ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾[5] " وتأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها بحيث لَا تصعد علواً كالنار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة ، ولا عمد تحتها ، وعلاقة فوقها بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات والارض أن تزولا ثمَّ تأمل استواءها ، واعتدالها فَلَا صدع فيها ، ولا فطر ، ولا شق ، ولا أمت ، ولا عوج ".[6] وانظر الى الودق كيف يتجلى من السماء ، وجمل الأرض ، واحياها ، وسقى النفوس العطشى ، وارتوت منه كل نفساً تتنفس في هذه الحياة قال تعالى :﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا

---

[1] انظر التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي ، دار الوضاح، الأردن – عمان ، ١ / ٨٩

[2] سورة الانبياء: ٣٢

[3] سورة ق :٦

[4] سورةالذاريات:٤٧

[5] النازعات:٢٧ – ٢٩

[6] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١ / ٢٠٧

فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[٣]

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾[٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥] فالماء آية دالة علىٰ قدرة الله ولطفه سواءاً كان الماء النازل من السماء ، أو النابع من الأرض ، فهو من الآيات الكونية التي نصبها الله– سبحانه– للدلالة علىٰ الصانع الحكيم ، وقدرته التي تتسع لكل شيء ، وإن فيما أنزله الله من جهة السماء من ماء مبارك عمرت به الأرض بعد خرابها ؛ لدليل ساطع علىٰ قدرة الله ووحدانيته ، ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر علىٰ الأرض من علو ؛ ليعم بسقيه وهادها ، وتلولها ، وظرابها ، وأكمامها ، ومنخفضها ، ومرتفعها ، ولو كان ربها تعالىٰ إنما يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتىٰ الماء علىٰ الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلية ، وكثر وفي ذلك فساد فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها فينشئ – سبحانه– السحاب

---

[١] سورة عبس:٢٥ – ٣٠

[٢] سورة الاعراف : (٥٧)

[٣] سورة الشورىٰ : (٢٨

[٤] سورة غافر : (١٣)

[٥] سورة الروم : (٢٤)

وهي روايا الأرض ، ثم يرسل الرياح ، فتحمل الماء من البحر ، ولهذا تجد البلاد القريبة من البحر كثيرة الأمطار ، وإذا بعدت عن البحر قل مطرها. [١] وقد امتنّ الله على عباده بإنزال الماء إليهم بالقدر الذي فيه صلاحهم ، ونفعهم ؛ لينتفعوا به ، ويعرفوا خالقهم فيشكروه ، ويحمدوه على هذه النعمة العظيمة . [٢]﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[٣] و" لا ينتفع بتلك الآيات الكونية ،ولا يقع على مواقع الهدى منها، إلا أهل اليقين، الذين يطلبون العلم والمعرفة، بالبحث الجاد، والنظر المتفحص"[٤] ، وانظر إلى تعاقب الليل بقمره الوضاء ، مع النهار بإشراقة شمسه المشعة ، وتفكر في عظمة ذلك. ليل يعسعس ، ونهار يتنفس ، و في اختلاف الليل ، والنهار من المنافع العامة ما ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٦] ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ

---

[١] انظر مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ١/ ٣٤٢

[٢] انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ، عبد العزيز الطويان، ١/ ١٤٠

[٣] سورة الواقعة :٦٩

[٤] التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٣/ ٥١١

[٥] سورة الاسراء :١٢

[٦] سورة يونس : ٦٧

عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾[1] قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[2]

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3]

وإلى المنافع الدينية أشار قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾[4].

قال العلامة ابن القيم : " ثم تأمل هذا الفلك الدوّار بشمسه وقمره ونجومه وبروجه ، وكيف يدور على هذا العالم هذا الدوران الدائم إلى آخر الأجل على هذا الترتيب ، والنظام ، وما في طي ذلك من اختلاف الليل ، والنهار ، والفصول ، والحر ، والبرد ، وما في ضمن ذلك من مصالح ما على الأرض من أصناف الحيوان ، والنبات ، وهل يخفى على ذي بصيرة أن هذا إبداع المبدع الحكيم وتقدير العزيز العليم ؟ ثم تأمل حَال الشمس ، والقمر فِي طلوعهما ، وغروبهما ؛ لإقامة دولتي الليل ، والنهار ، ولولا طلوعهما لبطل أمر العالم ، وكيف كان النَّاس يسعون فِي معائشهم ، ويتصرفون في أمورهم ، والدنيا مظلمة عليهم ، وكيف كانوا يتهنون

[1] سورة الزمر:٥

[2] سورة غافر: ٦١، ٦٢

[3] يس:٣٩ – ٤٠

[4] سورة الفرقان : ٦٢

بالعيش ؟ مع فقد النُّور ثم تَأمل الحكمة في غروبهما ، فإنه لولا غروبهما لم يكن للنَّاس هدوء ، ولا قرار مع فرط الحاجة إلىٰ السبات ، وجموم الحواس ، وظهور سلطانها في النّوم المعِين علىٰ هضم الطعام ، وتنفيذ الغذاء إلىٰ الأعضاء ، ثم لولا الغُرُوب ؛ لكانت الأرض تحمىٰ بدوام شروق الشمس ، واتصال طلوعها حتىٰ يحترق كل ما عليها من حيوان ، ونبات فصارت تطلع وقتاً بمنزلة السراج يرفع لأهل البيت ؛ ليقضوا حوائجهم ، ثم تغيب عنهم مثل ذلك ؛ ليقروا ، ويهدؤوا ، وَصَارَ ضِيَاء النَّهَار مَعَ ظلام اللَّيْل ، وحر هَذَا مَعَ برد هَذَا مَعَ تضادهما متعاونين متظاهرين بهما تَمام مصالح العالم ، وقد اشار تعالي إلىٰ هذا المعنىٰ ، ونبه عباده عليه "[1] بقوله عز وَجل ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] وانظر إلىٰ الأرض التي نمشي عليها وكيف بسطها خالقها دون أن تتحرك ، أو تختل ، وارساها بالجبال الراسيات الشامخات " وجعلت كفاتا، وأنبتت معاشا، وأرسيت بالجبال، وزينت بالنبات، وكرمت بالأقوات، وأرصدت لتصرف الحيوانات ومعاشها ؛ وكل جزء من ذلك فيه عبرة تستغرق الفكرة"[3] و

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية ، ١ /٢١٢ ، ٢٠٧

[2] سورة القصص : ٧١-٧٣

[3] أحكام القرآن ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفىٰ: ٥٤٣هـ) ،راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط: الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ٢/ ٣٥٢

هي ميسرة للعباد يمشون عليها ، ويزرعون فيها ، ويطلبون المعايش بأنواعها[1] وأجرى فيها الأنهار العذبة التي يرتع القلب لها ، ورزقنا الله فيها من أنواع الثمرات فهذا الزرع ينبت في جانبيها ؛ ليكون رزقاً لخلق الله ليستمر العيش ، أفلا يكون الإنسان عبداً شكوراً ؟ قال تعالى :﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذلك لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[3]

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾[4] وانظر إلى البحار التي تهدأ تارة ، وتموج تارة ، وفيها من المخلوقات العجيبة التي احتضنتها المياه ، وصارت ملاذ لها ، وطعمة تعينها على العيش قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾[5] وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع

---

[1] انظر دروس الشيخ عبدالله حماد الرسي ، عبدالله حماد الرسي ، دروس صوتيه قام بتفريعها الشبكة الاسلامية ، ٣/٦٠

[2] سورة الرعد: ٣

[3] سورة لنازعات: ٣٠ – ٣٣

[4] سورة الرعد: ٤

[5] سورة المائدة: ٩٦

هذا مسخر مذلل للسالكين، بتسخير القدير لا إله إلا هو رب العالمين [١]وانظر إلى الرزق الذي تحت أعماق البحر ، وكيف سخره الله لمخلوقاته ؟ فصار حرفة لهم تعينهم على تخطي صعاب الحياة ليس ذلك فحسب ، بل جعل لهم منه زاد يسد جوعهم ، ويغنيهم عن الغير. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾[٢] وفي جريان السفن على ظهر البحر، وتسخيرها للناس؛ فتعبر بهم المحيطات، وتنقل أثقالهم إلى بلاد بعيدة بيسر وسهولة وأمان ، محفوظة – بحفظ الله سبحانه– من الأخطار[٣]فجرت على إرادتكم واستعملتموها في مصالحكم [٤].﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٥] ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٦]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [٧]﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[١] " فالبحر العذب

---

[١] انظر مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م ، ٢/ ٢٠٨

[٢] سورة ابراهيم : ٣٢

[٣] انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ، عبد العزيز الطويان، ١/ ١٥١

[٤] انظر فتح القدير ، للشوكاني ٣/١٣٢

[٥] سورة الجاثية : ١٢–١٣

[٦] سورة الاسراء : ٦٦

[٧] سورة الشورى :٣٢

هو هذا السارح بين الناس فرقه تعالى بين خلقه لاحتياجهم اليه انهارا وعيونا في كل ارض بحسب حاجاتهم وكفاياتهم لأنفسهم واراضيهم " [٢] وهذا النظام المعجز، والخلق البديع والتكوين الكامل، والتصريف العجيب: هو تدبير الله وصنعه ، وكذلك يدبر الله أمر الخلق، ويفصل لهم الآيات الكونية والقولية لعل ذلك يكشف عن قلوبهم حجب الغفلة ، ويزيل غشاوة الشك والريب،[٣] قال تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٤] قال السعدي : " التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به،

وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة "[٥] ثم أعطى الله الناس العقول التي ميزوا بها على البهائم وعلى العجماوات كي يتدبروا في آيات الله عز وجل، ثم أرسل إليهم الرسل، وبث لهم الآيات الكونية في كل آفاق الدنيا، وكلها تدلهم على توحيد الله عز وجل فضلا من الله ومنة[٦]ولم يخلقهم عبثاً ولا باطلاً بل للتنبيه على أن لهما خالقاً قادراً يجب امتثال أمره ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ

---

[١] سورة الفرقان :٥٣

[٢] تفسير القران العظيم ، لابن كثير ، ١١٧/٦

[٣] انظر نظرات في كتاب الله ،حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٦٨هـ) ، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة ،١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ، ١/ ٣٧٦

[٤] سورة الرعد : ٢

[٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ١/ ٣٥٨

[٦] انظر تفسير القرآن الكريم ، محمد أحمد إسماعيل المقدم مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ،٥٨ /١٢

وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[1] أي ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو، وإنما سويناهما لفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من المنافع التي لا تعد ولا تحصى وليستدل بها على قدرة مدبرها.[2] فعليك وأنت تجول بفكرك في هذا الكون ، وتنظر إلى جمال صنع الله أن تتفكر ، وتتعظ ويكون ذلك دافعاً لك ؛ لاستشعار إبداع رب الكون الذي يستحق منا عبادته وحده ، بما سخر لنا من نعم تغمرنا . قال ابن تيمية – رحمه الله تعالى– :" النظر لا ريب في صحته في الجملة ، وأنه إذا كان في دليل أفضى إلى العلم بالمدلول، وإذا كان في آيات الله أفضى إلى الإيمان به الذي هو رأس العبادة "[3] ، وأعلم أن النظر وسيلة إلى عبادة الله ، وليس غاية يقف عنده المتأمل وقفة حيرة ، وغفلة ، وإنما نظرة تفكر ، واتعاظ تأخذ بصاحبها إلى الحق ، وتخرجه من الظلمة إلى النور[4] قال ابن القيم– رحمه الله تعالى– "والمقصود أن تنويع المخلوقات واختلافها من لوازم الحكمة والربوبية والملك، وهو أيضا من موجبات الحمد، فله الحمد على ذلك كله أكمل حمد وأتمه "[5] .

---

[1] سورة الانبياء : ١٦

[2] انظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد البخاري القِنَّوجي ، ٨/ ٣١١

[3] عقيدة التوحيد في القران الكريم ، احمد محمد عبدالقادر خليل ملكاوي ، دار الزمان ، ط: الاولى،١٤٠٥هـ–١٩٨٥م ، ١٤١/١

[4] انظر جهود الشيخ الامين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ، عبدالعزيز الطويان ، ١٣٢/١–١٣٣

[5] طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ) ، دار السلفية ، القاهرة ، مصر ، ١٢٢/١

المطلب الثالث: النظر والتفكر في الأنفس وخلق الأنسان

المتأمل في كتاب الله – جل وعلا– خاصة في ما يتعلق بالنفس الإنسانية التي تدب على وجه الأرض ، وما جمعت من الصفات والعجائب في دقيق الخَلق والخُلق ، ومراحل النمو والتطور، وتعدد الغرائز ، والحواس، ليجد الخضم المتلاطم في بحر عظيم خلق الله وقدرته [١] وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون﴾.[٢] فالقرآن يدعو العبد إلى النظر ، والتفكر في مبدأ خلقه ، ووسطه ، وآخره ﴿فَلْيَنْظر الْإِنْسَان مِم خلق خلق من مَاء دافق يخرج من بَين الصلب والترائب إِنَّه على رجعه لقادر﴾[٣] إذ نفسه ، وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه ، وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه ، وفيها من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقف على بعضها، وهو غافل عنها معرض عن التفكير فيها ، ولو فكر في نفسه ؛ لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره [٤] قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [٥] تفكر أيها الإنسان في خلقك و، كيفية أن الله أوجدك من العدم ، وانعم عليك بفضله ، ومنه

---

[١] انظر دروس الشيخ سعد البريك المؤلف: الدكتور سعد البريك ،مصدر الكتاب دروس صوتيه قام بتفريغها الشبكة الاسلامية ٣/٩١

[٢] سورة الذاريات :٢١

[٣] سورة الطارق :٥ – ٧

[٤] انظر جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف اعبد العزيز الطويان ، ١ / ٠ ١٤

[٥] سورة عبس : ٢٢

فأصبحت روحاً ، وجسد ترتع في الأرض ، وتتقلب بين نعمها ، وسخر لك فيها جميع المعايش لسبل الحياة حتى قويت ، واشتد عودك. "، فانت لم تكن منوها به في العالم ، وفي حالة العدم المحض لم تكن شيئاً ولا مذكوراً[1] ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ [2]وبإسناده عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالَى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَان﴾ يَقُول أَتَى على آدم ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْر﴾ أَرْبَعُونَ سنة مخلوقاً مصوراً ﴿لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ يذكر، ولا يدرى ما هو، وما أسمه، وما يراد به إلا الله [3]"خلق الله الإنسان من طين، ثم جعله نطفة في الرحم، وأحال النطفة إلى علقة، ثم خلق العلقة قطعة لحم غير مخلقة، ثم تصلبت بقدرة الله عظما، ثم كسا الله العظم لحما، وأنشأه إنسانا فيه الروح والحواس " [4]خلقك الله خلقا بعد خلق في ظلمات ثلاث ، خلقا عجيبا ، ثم أخرجك إلى ضياء الدنيا، بعد ما اتمّ خلقتك ونفخ فيك الروح، وغذاك، ورزقك القوت ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾[5] أي: طوراً بعد طور ، وأنت في حال لا يد مخلوق تمسك ، ولا عين تنظر إليك ، وهو قد رباك في ذلك المكان الضيق ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ

---

[1] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ ، ٥/ ٤٠٨

[2] سورة الإنسان: ١ – ٢.

[3] انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ينسب لعبدالله بن عباس رضى الله عنهما المتوفى ٦٨هـ ، جمعه مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (المتوفى ٨١٧) ، دار الكتب العلمية – لبنان ، ١ / ٤٩٥

[4] فتح القدير ، للشوكاني ، ٦ /٤٢٣ ، انظر تفسير القران الكريم ، لابن كثير ، ٦/ ٢٩١

[5] سورة الزمر : ٦

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[١] ظلمة البطن ، ثم ظلمة الرحم ، ثم ظلمة المشيمة[٢]قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[٣] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾[٤] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٥] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[٦] ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾[٧] أي: قوي شديد[٨]﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٩]، " اي: من طين مبلول ، قد أحكم بله ، وأتقن ، حتى جف ، فصار له صلصلة ، وصوت يشبه صوت الفخار

---

[١] سورة الزمر : ٦

[٢] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، ١/ ٧١٩ ، انظر جامع البيان في تأويل القران ، لابي جعفر الطبري ، ١٧/ ١٦٧

[٣] سورة المؤمنون : ١١-١٤

[٤] سورة السجدة :٧ – ٩

[٥] سورة الطارق :٥ – ٧

[٦] سورة الروم :٢٠

[٧] سورة الصافات :١١

[٨] تفسير السعدي ١/٧٠٠ ، انظر مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ،حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨م ، ٤ /١٥٧

[٩] سورة الرحمن :١٤

الذي طبخ على النار"[1] و(عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ")[2] و(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا ، قَالَ: أَيْ رَبِّ ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، فَمَا الرِّزْقُ ، فَمَا الأَجَلُ ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ")[3] أرايت يا بن ادم ضعفك ، وهوانك ، وكيفية صنعك ، وقلة حيلتك وجدت من لأشيء ، فلمَ الإعراض والصد عن خالقك وبارئك ، وموجدك لما التغطرس ، والتسويف ، وقد علمت أصلك ومصدر تكوينك : ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارا﴾[4] أصنافاً حَالا بعد حَال النُّطْفَة والعلقة والمضغة وَالْعِظَام[5] وخلقت من ماء مهين كما قال الله تعالى: ﴿ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ [6]

أي ضعيف وهو نطفة الرجل ، وعن ابن عَبَّاس قال: " ابْن آدم أَولَك نُطْفَة ، وآخرك جيفة ، فَهُوَ بَين ذَلِك لَا يملك ضرا ، وَلَا نفعا فَأدْخل بَطْنك حَلَالا،

---

[1] تفسير السعدي ٨٩٢/١ ، انظر صحيح البخاري ، ١٤٤/٦

[2] صحيح البخاري١١١/٤

[3] صحيح البخاري ١٢٢/٨

[4] سورة نوح : ١٣ – ١٤

[5] انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ،١ /٤٨٧

[6] سورة السجدة : ٨

وَأبْعد جوارحك عَن الْمعاصِي تسلم "[١] استشعر أيها الإنسان أن رب الكون رعاك ، وأنت ماء وتكفل برعايتك حتى صرت بشراً سوياً ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢] كما أن الله ميزك عن سائر المخلوقات كلها ، فخلق السماوات والأرض ، والجبال أكبر من خلق الناس ، حتى الجمل أكبر من خلق الإنسان ؛ ولكن الإنسان أعطي فكراً ، وصار هو المسئول[٣] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾[٤] على كبرهن ، وضخامتهن: ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾[٥] استشعر ذلك التكريم ، واغنم وقتك ، وجاهد نفسك ، وأعلم أن الحكمة من الخلق ان تكون خليفة في الارض تعمرها وفق منهج الله سبحانه[٦] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٧] أليس في نفسك التي بين جنبيك وما فيها من حواس السمع والبصر والإحساس واللمس والذوق وما فيها من دورة الدم، وأجهزة التنفس والبول والهضم والإفراز كل ذلك آيات لمن يعقلها، ولا يعقلها حقيقة ويدرك سرها الخفى ودلالتها على الإله القوى القادر الحكيم الخبير إلا

---

[١] الفردوس بمأثور الخطاب المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية – ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م ، ١ / ٤٢٦

[٢] سورة المؤمنون :١٤

[٣] انظر دروس للشيخ صالح بن حميد ، د صالح بن عبد الله بن حميد ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ٧٩/ ٧

[٤] سورة الأحزاب :٧٢

[٥] سورة الأحزاب:٧٢

[٦] انظر التفسير الموضوعي ، مناهج جامعة المدينة العالمية ، جامعة المدينة العالمية ، ١/ ٣٢٣

[٧] سورة الذاريات : ٧٥–٨٥

المؤمنون المتقون الله، أما غيرهم فقد يدرك حقائقها المادية فقط!! [١]، تفكر في غيرك من المخلوقات ، والآفاق ، وكيف جعل الله لكل كائن نفساً ؟ فهذا الزرع يتنفس ، وهذه الحيوانات والبهائم تتنفس ، وهذا الصباح ، وهو ليس روحاً يتنفس وغير ذلك من سائر المخلوقات.

انظر وتفكر في ذلك التنفس الذي عليه قوام الحياة كيف يبثه الله لمخلوقه ليكمل مسيرته في هذه الحياة ، وفي تلك المخلوقات التي حولك ، والتي بث فيها الخالق الحياة ، وكيف أن الله أبدع في خلقها على حسب حالها ، وحسب تكوينها ؟ ، وكيف تبحث في رزقها ، وطريقة عيشها ؟ ، وتكافح لذلك سواء كان إنسان ، أو حيوان ، أو نبات ، أو حشرات مما نعلم وما لا نعلم .

وهو العليم أحاط علما بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان[٢]

---

١ انظر التفسير الواضح ، الحجازي، محمد محمود ، دار الجيل الجديد – بيروت ، ط: العاشرة – ١٤١٣ هـ ، ٣/ ٥٣٤

٢ انظر متن القصيدة النونية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ط: الثانية ، ١٤١٧هـ ١/ ٢٠٤

المطلب الرابع :النظر والتفكر في آثار الأمم السابقة ومصيرهم

التفكر في أخبار ، وآثار الأمم السابقة ، وعاقبتهم من التفكر في القرآن الذي عليه مناط السعادة ، والتشريع قال تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [3]

وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾.[4] فالقران يطالب المسلم بالمعرفة التاريخية لأحوال تلك الأمم السابقة التي أولاها القرآن قسطاً كبيراً من العرض المتمثل في القصة القرآنية البديعة ، حتى يوسع الأنسان فكره وآفاقه ويستبصر بالسنن الربانية الجارية في الكون ووقائعه ويعلم أسباب سقوط تلك الأمم ، و أعراضهم عن الحق ، وعن التشريع الرباني ، فما كان عاقبتهم إلا الخسارة في الدنيا والآخرة[5] ونيلهم العقاب جراء غيهم ، وكفرهم ، وعنادهم ، وإعراضهم عن الله عز وجل ؛ لذلك سنقف وقفات يسيرة على بعض قصص ، وعبر تلك الأمم "

---

[1] سورة آل عمران :١٣٧

[2] سورة النحل: ٦٣ – ٦٤.

[3] سورة النحل: ٨٩

[4] سورة إبراهيم: ٥٢

[5] انظر شبكة الألوكة إسلامية ، وفكرية ثقافيه ، شاملة ، اشراف د خالد الجريسي د سعد الحميد ،

وننظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج ، فلم ينقادوا لها ، وأمروا بالإيمان ، فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك ، والخزي ، والفضيحة."[١] فهؤلاء قوم نوح الذين تمادوا بعبادة الأصنام ، وأنكروا دعاء نوح – عليه السلام– وتجاوزوا الحد في محبة الصالحين وتعظيمهم فوق ما شرعه الله ؛ عظموهم تعظيماً غير سائغ لهم بأن عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، وإن كانوا ما عبدوهم ، وإنما عبدوا الصور ؛ لأنهم لم يأمروهم بعبادتهم ، وإن كانوا أيضاً لم يعبدوا الصور ؛ إنما عبدوا الشيطان في الحقيقة[٢] وفي الحديث القدسي (وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ) [٣]ومع ذلك صبر عليهم نوح – عليه السلام– واستمر في دعائهم عدة سنوات متخذاً جميع أساليب الدعوة من أجل أن يصل بهم إلى طوق النجاة ، وهو توحيد الله لكنهم استمروا بالجحود ، وأعرضوا عن الحق ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾[٤]

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ

---

١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ١/ ٢٩٤

٢ انظر شرح كشف الشبهات ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ) ،المحقق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الناشر: طبع على نفقة محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط: الأولى، ١٤١٩هـ ، ١ /٢٣

٣ صحيح مسلم ٤ /٢١٩٧

٤ سورة نوح :٢١– ٢٣

الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[١] ولم يزدهم دعاء نوح –عليه السلام– إلا هربًا ، وإعراضًا عنه ، وإنه كلما دعاهم إلى الإيمان ؛ ليكون سببًا في مغفرة ذنوبهم ، وضعوا أصابعهم في آذانهم ؛ كي لا يسمعوا دعوة الحق ، وتغطَّوا بثيابهم ؛ كي لا يرونه عليه السلام ، وأقاموا على كفرهم ، واستكبروا عن قَبول الإيمان استكبارًا شديدًا ، ثم إنه دعاهم إلى الإيمان ظاهرًا علنًا في غير خفاء ، وأعلن لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال ، وأسر بها بصوت خفيٍّ في حال أخرى،[٢] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[٣] كما رغبهم في سعة العيش ، ويسر الحياة السعيدة ، وذلك بهطول الأمطار، والإمداد بالأموال ، والبنين ، إنْ هم استغفروا الله تعالى ، وتابوا إليه من الشرك ، وجميع الذنوب[٤]،قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ

---

[١] سورة الشعراء : ١٠٥–١١٥

[٢] انظر لتفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية ، ط : الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م ٥٧٠/١

[٣] سورة نوح : ٥–١٠

[٤] انظر منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ، ١٧٤/١

بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[١] لكن تلك السبل التي سلكها – عليه السلام– لم تزيدهم إلا عناد ، ومكراً شديداً ، وصداً عن نبيهم ، وما جاء به لهم من الخير ليس ذلك فحسب ، بل ألحقوا به التهم ، ورموه بالضلال ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢] ، والجنون قال تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ.﴾ [٣]

﴿قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَساراً ﴾[٤] اي : استمروا على عصياني ولم يجيبوا دعوتي ، شكاهم إِلَى الله – عز وجل – ، وأخبره بأنهم عصوه ولم يتبعوه ، وهو أعلم بذلك[٥] ، فبسبب ذنوبهم ، وإصرارهم على الكفر ، والطغيان أُغرقوا بالطوفان ، وأُدخلوا عقب الإغراق نارًا عظيمة اللهب والإحراق ، فلم يجدوا من دون الله مَن ينصرهم ، أو يدفع عنهم عذاب الله. [٦]﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[٧]

فلما أخبره الله أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، قال رب لا تترك على الأرض من الكافرين أحداً أن تتركهم ، وتمهلهم يضلوا عبادك المؤمنين ، ولايلدوا

---

[١] سورة نوح : ١٠–١٢

[٢] سورة الأعراف : ٦١

[٣] سورة القمر : ٩

[٤] سورة نوح : ٢١

[٥] انظر فتح القدير ، للشوكاني ، ٥ / ٣٥٩

[٦] انظر التفسير الميسر ٥٧١/١

[٧] سورة نوح : ٢٥– ٢٦

إلا صاحب فجور لا يطيعك ، وشديد كفر لا يشكرك على نعمك[١] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً انَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً ﴾[٢] ونجى الله نبيه ، ومن معه من أهل الايمان ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٣] ولم ينج ابنه وزوجته ، وهم أقرب الناس لنبينا نوح ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[٤] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾[٥] لنعلم أن عاقبة التعالي عن آيات الله ، والصد عما جاء به التشريع الرباني خسارة على المرء في الدارين ، فهذا هو الخسران الحقيقي ، وأنك سوف تحمل وزر نفسك يوم العرض الأكبر ولن يصد عنك أحد العذاب ولو كان أقرب الناس لك أمك وأبيك ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٦] وهذا ما تجلى لنا في قصة نوح – عليه السلام– وهؤلاء قوم عاد كانوا عَرَباً جُفَاةً كافرين عُتَاةً متمردين في عبادة الأصنام أعطاهم الله قوة الأجسام ، لكن لم تنفعهم قوتهم ، وكفرهم ، وطغيانهم بالله ، ولم يردوا العذاب عن أنفسهم ،

---

[١] انظر المختصر في التفسير ، مركز الدراسات الإسلامية ، سورة نوح ص ٥٧١

[٢] سورة نوح : ٢٧

[٣] سورة الشعراء :١١٩–١٢١

[٤] سورة هود : ٤٦

[٥] سورة النمل : ٥٧–٥٨

[٦] سورة الانعام : ١٦٤

حيث أرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم إلى الله ، وإلى إفراده بالعبادة ، والإخلاص له ، وهو هود

– علية السلام– فكذبوه ، وخالفوه ، وتنقصوه ، فأخذهم الله أَخذ عزيز مقتدر ، فلما أَمرهم بعبادة الله ، ورغبهم في طاعته ، واستغفاره ، ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة ، وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا ، والآخرة[1] ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾[2] أي هذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام ، التي يرتجى منها النصر ، والرزق ، ومع هذا نظن أنك تكذب في دعواك ، بأن الله أرسلك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رب العالمين﴾[3] أي ليس الأمر كما تظنون ، ولا ما تعتقدون ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[4] فكان في غاية النصح لقومه ، والشفقة عليهم ، والحرص على هدايتهم لا يبتغي منهم أجراً ، بل هو مخلص لله – عز وجل– في الدعوة إليه ، والنصح لخلقه لا يطلب أجره إلا من الله الذي أرسله[5]

---

[1] انظر البداية والنهاية ، أبو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير البصري القرشي ثم الدمشقي المتوفى(٧٧٤) ، المحقق : علي شيري ، دار احياء التراث العربي ، ط الاولى ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م ١٤١/١

[2] سورة الاعراف : ٦٦

[3] سورة الاعراف: ٦٧

[4] سورة الاعراف : ٦٨

[5] انظر لبداية والنهاية ، لابن كثير ، ١٤١/١

ولهذا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تعقلون﴾ [١]أي مالكم عقل تميزون به ، وتفهمون أني أدعوكم الى الحق المبين الذي تشهد به فطرتكم التي خلقتم عليها ، وهو دين الحق الذي بعث الله به نوحا ، وأهلك من خالفه من الخلق ، وها أنا أدعوكم إليه ، ولا أسالكم أجراً عليه بل أبتغي ذلك عند الله مالك الضر ، والنفع ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ. ﴾[٢] ﴿ومالي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣] وقال قوم هود له فيما قَالوا : ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٤] ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلهتنا بسوء﴾[٥] يقولون ما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به ، وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾[٦] بلا دليل أقمته ، ولا بركان نصبته[٧] (٧) ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٨] جعلوا الأمر الذي هو أوجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يعارضون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك ، وعبادة الأصنام ، على ما دعت إليه الرسل من توحيد الله ، وحده لا شريك له ،

---

[١] سورة هود : ٥١

[٢] سورة يس : ٢١

[٣] سورة يس :٢٢

[٤] سورة هود : ٥٣

[٥] سورة هود :٥٤

[٦] سورة الاعراف : ٧٠

[٧] انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ١/ ١٤١

[٨] سورة هود : ٣٢

وكذبوا نبيهم،[١] وقالوا : نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه ، وعندنا إنما أصابك هذا أن بعض آلهتنا غضب عليك فأصابك في عقلك ، فاعتراك جنون بسبب ذلك ، وهو قولهم ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِي برئ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾[٢] وهذا تحدٍ منه لهم وتبرٍ من آلهتهم وتنقص منه لها ، وبيان أنها لا تنفع شيئا ، ولا تضر[٣]وجحدوا بآيات الله واستمروا في غيهم ، واتبعوا أهوائهم ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[٤] حتى جاء أمر الله تعالى فأهلكتهم ريح عاتية بقدرة الله تعالى ، لم تدع منهم عيناً تطرف ، لا صغيراً ، ولا كبيراً. تقلب أجسامهم بين السماء ،والأرض في الجو مصعدين ، ومنحدرين سبع ليال ، وثمانية أيام حسوماً ، حتى تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وذلك قول الله عز وجل: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[٥] ، وهدمت البيوت ، وخربت القصور ، والحيطان والبساتين قلعتها من أصولها ، وتركتهم كأنهم جذوع النخل اليابسة

لو أن عاد أسمعت من هود وقبلت من رأيه الرشيد ، وقد دعا بالوعد والوعيد ...
ما أصبحت عاثرة الجدود[٦]

---

[١] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ٢٩٤/١

[٢] سورة هود: ٥٥

[٣] انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ١/ ١٤١

[٤] سورة هود :٥٩

[٥] سورة الحاقة :٧

[٦] انظر التيجَان في مُلوك حِمْيَرَ ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد، جمال الدين عن (المتوفى: ٢١٣هـ) يرويه عن أسد بن موسى أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن

فهذه عاقبتهم في الدنيا هلاك ، وعذاب ، وخزي ، وفي الآخرة خسارة ، وجحيم ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[1] ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2] وَكَقَوْلِهِ : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [3]وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[4]

أما صالح – عليه السلام– ، فأرسله الله إلى ثمود ، فدعاهم إلى التوحيد ، فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون ، ثم إن كفارهم عاهدوا صالحاً على أنه إن أتى بما يقترحونه عليه آمنوا به ، واقترحوا عليه أن يخرج من صخرة معينة ناقة ، فسأل صالح الله تعالى في ذلك ، فخرج من تلك الصخرة ناقة ، وولدت فصيلاً ، فلم يؤمنوا[5]﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا أَتَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وَإِنَّنا

منبه رضي الله عنهم ، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، الناشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء – الجمهورية العربية اليمنية ،ط: الأولى، ١٣٤٧ هـ ١/ ٣٥٣–٣٦٠

[1] سورة هود : ٦٠

[2] سورة الاعراف : ٧٢

[3] سورة المؤمنون: ٤١

[4] سورة الشعراء : ١٣٩ – ١٤٠

[5] انظر المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاه شاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ) ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط: الأولى ، ١٢/١

لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَما تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَيا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾[١] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فاستحبوا العمى عَلَى الهدى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العذاب الهون بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٢] وعقروا الناقة فجاءهم العذاب صيحة من السماء ، ورجفة من الأرض فاضت بها أرواحهم ، وزهقت لها نفوسهم ، وهلكوا جميعاً إلا صالحاً ، ومن آمن معه ، وهكذا انتهوا إلى هذه النهاية الأليمة جزاء تكذيبهم ، وردهم لدعوته إلى الله تعالى ، وهي نهاية كل مشرك مكذب ، ولعذاب الآخرة أكبر. قال الله – جل شأنه–: هكذا نزل بهم ما حذرهم منه رسولهم صالح عليه السلام ، فكانت نهايتهم الأليمة ، وعاقبتهم الوخيمة عبرة ، وعظة لكل معتبر متعظ [٣]﴿فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ ﴾[٤]هذا ما كان من قوم نبينا صالح عليه السلام .

[١] سورة هود : ٦١ – ٦٨

[٢] سورة فصلت: ١٧.

[٣] انظر حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد ، محمد الغامدي ٧٥/١

[٤] سورة هود :٦٥– ٦

أما قصة قوم لوط –عليه السلام– فتكشف لنا عن لون خاص من انحراف الفطرة وهو الإسراف في تجاوز منهج الله الممثل في الفطرة السوية. والإسراف في الطاقة التي وهبهم الله إياها، لأداء دورهم في امتداد البشرية ونمو الحياة، فإذا هم يريقونها ويبعثرونها في غير موضع الإخصاب. فهي مجرد شهوة شاذة. لأن الله جعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سنة الله الطبيعية فإذا وجدت نفس لذتها في نقيض هذه السنة، فهو الشذوذ إذن والانحراف والفساد الفطري[١]

قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٢] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلُوطاً إِذْ قال لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٣] وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ، ويأتون في ناديهم ، وهو مجتمعهم ، ومحل حديثهم ، وسمرهم المنكر من الأقوال ، والأفعال ، ولا يستحيون من مجالسهم ، وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ، ولا يستنكفون ، ولا يرعوون لوعظ واعظ ، ولا نصيحة من عاقل و، كانوا في ذلك ، وغيره كالأنعام ، بل أضل سبيلا ، ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ، ولا ندموا على ما سلف من الماضي ، ولا راموا في المستقبل تحويلاً[٤] وقد نهاهم لوط – عليه السلام– عن تلك الفعلة الشنيعة ، وتلك الدنايا المخزية ، لكنهم استمروا بالفجور ، والعناد و، كانوا يودون إخراج

---

[١] انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٣/ ١٣١٥

[٢] سورة الأعراف: ٨٠

[٣] سورة النمل : ٥٤–٥٥

[٤] انظر لبداية والنهاية ، لابن كثير القرشي ١/ ١٧٨

لوط – عليه السلام– لأنهم أناس يتطهرون ﴿فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[١] فبعث الله له الملائكة على هيئة شباب حسان الوجيه ؛ للقضاء عليهم " وَحُلُول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين[٢]فما كان من قومه ، وتمردهم إلا أن جاءوا إلى لوط – علية السلام– يطالبون بضيوفه ؛ لفعل المنكر بهم فقدم بناته لهم ؛كي يتراجعوا عن مكائدهم ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[٣] لكنهم لم يستجيبوا لطلبه ،" فخرج عليهم جبريل ، – عليه السلام – ، فضرب أعينهم بطرف جناحه ، فانطمست أعينهم . يقال: إنها غارت من وجوههم.[٤]وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطا، عليه السلام، إلى الصباح.[٥]ولكن الملائكة طمأنوه ، وقالوا له: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾[٦]وكانت زوجته

---

[١] سورة النمل : ٥٦

[٢] انظر تفسير القران العظيم ، لابن كثير، ٣٣٦/٤

[٣] سورة هود :٧٧– ٧٩

[٤] انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٤٨٠/٧

[٥] انظر المصدر السابق ٧ /٤٨١

[٦] سورة هود: ٨١

مع قومها معرضة ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [(١)]

فأهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم ، فإنه تعالىٰ أمر جبريل ، – عليه السلام– فحمل مدائنهم حتىٰ وصل بها إلىٰ عنان السماء ، ثم قلبها عليهم وأرسلها ، وأُتبعت بحجارة من سجيل منضود[(٢)]﴿فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾[(٣)] أي طين متحجر منضود أي يرسل بعضه في إثر بعض متتابعاً[(٤)]وكانت تلك الأحجار مسومة ﴿لنرسل عَلَيْهِم حِجَارَة من طين مسومة﴾[(٥)] أَي: معلمة ، ويُقال: العلامات هِيَ خواتيم علىٰ الأحجار ، وقيل : كان اسم كل من يهلك بذلك الحجر من الكفار مكتوباً علىٰ ذَلك الحجر.(وعن ابن عباس قَال: {مسومة} أَي: حمرة فِي بياض. ويُقال: مخططة[(٦)]﴿إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [(٧)] أَي: خرجوا من آخر الليل ، فنجوا مما أَصاب قَومهم ، ولم

---

[١] سورة هود:٨

[٢] انظر تفسير القرآن العظيم ، بن كثير ، ٧ / ٤٨٠

[٣] سورة هود: ٨٢

[٤] انظر محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفىٰ: ١٣٣٢هـ ،المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولىٰ – ١٤١٨ هـ ١٢٢/٦

[٥] سورة الذاريات : ٣٣–٣٤

[٦] انظر تفسير القرآن ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفىٰ: ٤٨٩هـ) ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر: دار الوطن ، الرياض – السعودية ، ط: الأولىٰ، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م ٥/ ٢٥٨

[٧] سورة القمر : ٣٤

يؤمن بلوط من قَومه أَحد ، ولَا رجل واحد حتىٰ ، ولَا امرأته ، أَصابها ما أَصاب قَومها ، وخرج نبِي اللَّه لوط ، وبنات له من بين أَظهرِهم سالماً لم يمسسه سوء ؛ ولهذَا قَال تَعالىٰ: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[1] أَي: ولَقَد كان قَبل حلول العذاب بِهم قَد أَنذَرهم بأس اللَّه ، وعذَابه ، فَما التفتوا إِلىٰ ذَلك ، ولَا أَصغوا إِليه ، بل شَكوا فيه ، وتماروا[2]فكان هذا جزاء كفرهم وغيهم وأن الله أخبر بقبائحهم وفضائحهم وهلكهم ؛ ليعلم ، ويتفكر المسلم أن من كان هذا دأبه فجدير أن لا ينفعه تأديب ، ولا يؤثر فيه تأنيب[3]

ومن القصص التي ذكرها الله تعالىٰ لنا للنظر والتفكر فيها قصة مدين ، وهم أصحاب الأيكة ، وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ، ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة ، وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفه بها ، وكانوا من أسوء الناس معاملة يبخسون المكيال ، والميزان ، ويطففون فيها يأخذون بالزائد ، ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلاً منهم ، وهو رسول الله شعيب – عليه السلام– فدعاهم إلىٰ عبادة الله وحدة لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشيائهم ، وإخافتهم لهم في سبلهم ، وطرقاتهم فآمن به بعضهم و، كفر أكثرهم حتىٰ أحل الله بهم الباس الشديد ، وهو الولي

---

[1] سورة القمر: ٣٥– ٣٦

[2] انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٧ /٤٨٠

[3] انظر شرح الشفا ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفىٰ: ١٠١٤هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ ١ / ٨١

الحميد[1]ولم يقتصر شعيب– عليه السّلام– على مجرد عرض دعوته السّمحة: دعوة الإنقاذ ، وإنما كان يحاور القوم ، ويحاول إقناعهم بشتى الوسائل ، حتى يعودوا لطريق الاستقامة، والإقلاع عن عقيدة الوثنية والشّرك وإصلاح النظام الاجتماعي والاقتصادي القائم بين القوم على

الظلم والغبن والاستغلال وإنقاص المكيال والميزان، ولكنهم أصرّوا على ما هم عليه من الضّلال [2]قَالَ تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[3] وَقَالَ تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يا قوم اعبدوا الله مالكم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ. وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا الناس أشيائهم وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[4] وَقَالَ تَعَالَى:﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ

---

[1] انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، ١/ ٢١٤– ٢٢٠

[2] انظر التفسير الوسيط للزحيلي المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر – دمشق ، ط : الأولى – ١٤٢٢ هـ ١/ ٦٩٢

[3] سورة الأعراف :٨٥– ٨٦

[4] سورة هود: ٨٤–٨٦

لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. ﴾[١] لكنهم استكبروا على نبي الله ، واستمروا في ضلالهم ، وبخسهم ، وظلمهم ، وسخروا منه – عليه السلام– ﴿قالوا يا شعيب أصلوتك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ. إِنَّكَ لَأَنْتَ الحليم الرشيد. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ورزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لَا يجرمنكم شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ. وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ. قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ. قَالَ يَا قوم أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ من الله واتخذتموه ورائكم ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ. ﴾[٢] حبس عنهم الريح ، والظل فأصابهم حر شديد ، فخرجوا من منازلهم ، فرفع الله – عز وجل– سحابة فيها عذاب بعد ما أصابهم الحر سبعة أيام ، فانقلبوا ليستظلوا تحتها فأهلكهم الله– عز وجل– حرً وغماً تحت السحابة ، فذلك قوله– عز وجل–: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٣]لشدته إن في ذلكَ لآية ، وفي هلاكهم بالحر ، والغم ؛ لعبرة لمن بعدهم [٤]قال

---

[١] سورة الشعراء : ١٧٦–١٧٨

[٢] سورة هود :٨٧– ٩٢

[٣] سورة الشعراء١٨٩

[٤] انظر تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٣ هـ ٣/ ٢٧٩

تعالى:﴿وَقالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ ﴾ [1]، وقوله : ولما جاء أمرنا يحتمل أن يكون المراد منه ، ولما جاء وقت أمرنا ملكاً من الملائكة بتلك الصيحة ، ويحتمل أن يكون المراد من الأمر العقاب ، وعلى التقديرين اخبر الله انه نجى شعيباً ، ومن معه من المؤمنين برحمة منه [2]ويوم الظلة غيم تحته سموم ، أو سحابة أظلتهم ، فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر، فأطبقت عليهم ، وقد أشير إلى عذاب يوم الظلة في القرآن الكريم ، وذكر أن هذا العذاب أصاب قوم شعيب لتكذيبهم رسالته ، فرفع الله غمامة ، فخرجوا إليها ؛ ليستظلوا بها فأصابهم عذاب عظيم التهبت عليهم ، وأحرقتهم [3].

وهذا إبراهيم الخليل مع النمرود الذي دعاه إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قال تعالى :﴿ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

---

[1] الأعراف : ٩٠- ٩٢

[2] انظر مفاتيح الغيب :التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ ، ١٨/ ٣٩٢

[3] انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ، دار الساقي ، ط: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، ١٥/ ١٦٥

﴾[١] ولكن حمله جهله ، وضلاله ، وطول آماله على إنكار الصانع فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادّعى لنفسه الربوبية ، فلما قال الخليل : ربي الذي يحي ويميت قال : أنا أحي ، وأميت. قال قتادة[٢]، والسدي[٣]، ومحمد بن اسحق [٤]: يعني أَنه إِذَا أُتى بالرجلين قد تحتم قتلهما ، فإذا أمر بقتل أحدهما ، وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا ، وأمات الآخر وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ، ولا بمعارضة بل هو تشعيب محض ، وهو انقطاع في الحقيقة ، فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات ، وموتها هذا دليل على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إلى وجوده ضرورة عدم قيامها بنفسها ، ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها ، وتسخيرها ، وتسيير هذه الكواكب ، والرياح ، والسحاب ، والمطر ، وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ، ثم إماتتها ، ولهذا

---

[١] سورة البقرة : ٢٥٨

[٢] قتادة ابن دعامة ابن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري ثقة ثبت يقال ولد أكمه وهو رأس الطبقة الرابعة مات سنة بضع عشرة ع ٤٥٣/١
تقريب التهذيب ،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا ط: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

[٣] والسدي: إسماعيل ابن عبد الرحمن ابن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال أبو محمد الكوفي صدوق يهم ورمي بالتشيع من الرابعة مات سنة سبع وعشرين م ٤ تقريب التهذيب ، لابن حجر ، ١٠٨/١

[٤] محمد بن إسحاق بن يسار الإمام الحافظ أبو بكر المطلبي المدني مصنف المغازي مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، مات سنة إحدى وخمسين ومائة قال جماعة وقيل سنة اثنتين١ رحمه الله تعالى. تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،ط: الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ١٣٠/١

قال إبراهيم : ربي الذي يحي ، ويميت ، فقول هذا الملك الجاهل أنا أحي وأميت إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر ، وعاند ، وإن عنى ما ذكره قتادة ، والسدي ، وابن اسحاق ، فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مقدمة ، ولا عارض الدليل ، ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره ، وغيرهم ذكر دليلا آخر بين وجود الصانع ، وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة قال : فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب أي: هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها ، وقاهرها ، وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء ، فإن كنت كما زعمت من أنك الذي تحي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب ، فإن الذي يحي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ، ولا يمانع ، ولا يغالب بل قد قهر كل شيء ، ودان له كل شيء ، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا ، فإن لم تفعله فلست كما زعمت ، وأنت تعلم ، وكل أحد إنك لا تقدر على شيء من هذا بل أنت أعجز ، وأقل فكان عاقبة ذلك الملك المتمرد الذي عاث في الأرض الفساد ، واجبر الضعفاء للسجود له ، وإلا حرمهم المؤونة ، والأكل أن أرسل الله عليه ، وعلى قومه ذباباً من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودمائهم ، وتركتهم عظاماً بادية ، ودخلت واحدة منها في منخر الملك فمكثت في منخره اربعمائة سنة عذبه الله تعالى بها فكان يضرب رأسه بالمزارب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله – عز وجل– بها. [١]

---

[١] انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، ١/ ١٧١–١٧٢

ثم للنظر في حال قارون الذي كان من قوم موسى – عليه السلام– جاء في التفسير أَن قارون كان ابن عم موسى[١]الذي أعطاه الله مالا وجاهاً كثيراً لكنه طغى ، وتكبر في الأرض قال تعالى: ﴿ إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَآتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾[٢] فخاطبه الصالحون من قومه عندما بغى عليهم[٣]) ﴿إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٤] أَي لَا تبطر بِما أُعطِيتَ وتفخر على غيرك ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ولا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٥] ولتكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة ، فإنه خير ، وأبقى ، ومع هذا تناول من الدنيا بمالك ما أحل الله لك ، فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة ، وأحسن إلى خلق الله كما أحسن الله خالقهم ، وبارئهم إليك ولا تسئ إليهم ، ولا تفسد فيهم ، فتقابلهم ضد ما أمرت

---

[١] انظر معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي،الناشر: عالم الكتب – بيروت ، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ٤/ ١٥٣ ، وانظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ،ط: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، ١/ ٣٦٥

[٢] سورة القصص : ٧٦

[٣] انظر فتاوى الشبكة الإسلامية ، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠، هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م

٢/ ٢٨٦٩

[٤] سورة القصص :٧٦

[٥] سورة القصص : ٧٧

فيهم ، فيعاقبك ، ويسلبك ما وهبك ، فما كان جوابه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة الا ان ﴿قال إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾[١] يعني أنا لا احتاج إلى استعمال ما ذكرتم ، ولا إلى ما إليه أشرتم[٢]وامتلأ قلبه بالكبر والعُجب والخيلاء بسبب ما آتاه الله من المال والكنوز، [٣]فلم ينفع معه وعظ ، ولا نصيحة حتى خرج علَى قومه فِي زينته ، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. ﴾[٤]

الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله ، وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالتهم العلماء ذووا الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالو لهم : ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾[٥] أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وابقى ، وأجل وأعلى قال الله تعالى : ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [٦]يُلقى هذه النصيحة ، وهذه المقالة ، وهذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه ، وثبت فؤاده ، وأيد لبه ، وحقق مراده ، وما أحسن ما قال بعض السلف : إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، والعقل الكامل عند حلول الشهوات ، فلم يدم لقارون ذلك النعيم الذي لم ير حق الله فيه ، وتكبر على موسى – عليه السلام– وعلى الصالحين من قومه ، فقلب الله تلك الحياة

---

[١] سورة القصص : ٨٧

[٢] انظر لبداية والنهاية ، بن كثير ، ١/ ٣٦١

[٣] فتاوى الشبكة الإسلامية ، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية ، ٢/ ٢٨٦٩

[٤] سورة القصص : ٧٩

[٥] سورة القصص : ٨٠

[٦] سورة القصص : ٨٠

الممتعة إلي عذاب جراء إعراضه ، وعدم شكره لخالقه ، فعاقبه الله بالخسف قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ [1]لم يكن له ناصر من نفسه ، ولا من غيره كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[2] ، ولما حل به ما حل من الخسف ، وذَهاب الأموال ، وخراب الدار ، وإهلاك النفس ، والأَهل ، والعقار ندم من كان تمنى مثل ما أُوتي، وشَكروا اللَّه تعالى الذي يُدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير ، ولهذا قَالوا كما جاء في القرآن ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[3] فالغلو هو : التكبر ، والفخر ، والأشر ، والبطر ، والفساد ، وهو : عمل المعاصي اللازمة ، والمتعدية من أخذ أموال الناس ، وإفسادهم معايشهم ، والإساءة اليهم ، وعدم النصح لهم[4] وذكر المقدسي في المختار: (أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَحْمَدَ الْخَبَّازُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ رَجَاءِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أبنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أبنا أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مَرْدَوَيْهِ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ دُحَيْمٍ ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ بُكَيْرٍ ثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ – عز وَجل– ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْض ﴾ قال قيل للأَرض خذيهمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْقَابِهِمْ قَالَ قِيلَ لَهَا خُذِيهِمْ

---

[1] سورة القصص : ٨١

[2] سورة الطارق : ١٠

[3] سورة القصص : ٨٢

[4] انظر البداية والنهاية ، لابن كثير ، ١ /٣٦٠ –٣٦٣ ، انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٦/ ٢٥٥

فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى حِقِيِّهِمْ قِيلَ لَهَا خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ قِيلَ لَهَا خُذِيهِم فخُسِف بهم رواه أَبو عوانة عن الْأَعمش[1]فلم يعتبر قارون بمن قبله من الأمم ، والقرون السابقة قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾[2] ، فكانت تلك نهايته فنال ما نال من العقوبة ، والعذاب الأليم .

أما فرعون كان فاسداً في كل جوانب حياته ، ادعى الألوهية ، ونادى في الناس أنا ربكم الأعلى ، وأنكر على أتباعه أن يتخذوا إلها سواه ، وكان متكبرا في خلقه ، مغروراً بالنعم التي يرفل فيها ، فلقد تصور أن تملكه لأمر مصر، وسيطرته على أنهارها ، وزروعها ، يجعله فوق البلاد ، والعباد ، واشتهر بالقسوة ، والظلم في معاملة الرعية ، وأسرف في الإفساد، وإلحاق الأذى بالناس ، وتجبر ، وطغى ، وتمادى في غيه ، ولم يسمع لناصح ، ولم يلتفت إلى الحق أبدا. يصور الله تعالى حال فرعون ، وملائه ، ويبين ضلالهم ، وظلمهم، وفسادهم، فيقول تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[4] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ

---

[1] انظر الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٣٨٤/١٠

[2] سورة القصص : ٧٨

[3] سورة القصص: ٣٨

[4] سورة النازعات : ٢٣، ٢٤.

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[٤] هذا هو فرعون على حقيقته ، كما صورته آيات القرآن الكريم. إنه شخص مغرور، اعتلى العرش ، واستعبد الناس ، وفرقهم شيعاً ، واستخدمهم لنفسه ، ونشر الفساد فيهم. ادعى الألوهية فصدقوه ، وأطاعوا أمره ، واتجهوا إليه عابدين ، مستسلمين ، وقد وضع فرعون خطة خبيثة ، تمكنه من استمرار التحكم ، والاستعلاء ، والطغيان ، تقوم هذه الخطة على اتخاذ مجموعة من الأفراد متميزين بعلم ومعرفة ، ونشرهم في الأقاليم المختلفة ؛ ليكونوا دعاة له ، مشرفين على استمرارية ملكه ، وسلطانه ، مبلِّغين ما يريد أن يوصله للناس ، وقد أغدق على هذه المجموعة الأموال ، والوظائف ، وشيئا من سلطانه ، ووجاهته. فهم الملأ المنتشرون وسط الناس ، وهم العلماء السحرة الذين يديرون شئون المدائن ، وهم الوزراء المحيطون به ، ولذلك كان يكتفي بتوجيه أوامره لهذه المجموعة ؛ ليوصله هؤلاء بعد ذلك إلى سائر الناس، فهم له مطيعون ، مؤيدون. أنظر إليه ،

[١] سورة القصص : ٤.

[٢] سورة الدخان : ٣٠-٣١

[٣] سورة الزخرف : ٥١.

[٤] سورة الفجر : ١٠-١٢

وهو يؤكد ألوهيته الوحيدة ، ينادي بذلك للملأ ،ويجمعهم في مؤتمر حاشد ، ليقول لهم: أنا ربكم الأعلى، ومع اتخاذه لحاشيته تلك ، اتخذ جنودا أشداء ، كوّنوا قوة طاغية ، كثيرة العدد والعدة ، لتكون في مواجهة من يتصدى لألوهيته ، وجبروته[١] ، وقد تكبر على نبينا موسى – عليه السلام– عندما ارسله الله له داعيا هو وقومه لكنه استمر في طغيانه ، وتجبره في الارض فأقام اللَّه على أَهل مصر الحجج العظيمة القاهرة ، وأَراهم من خوارق الْعادات ما بهر الأَبصار وحيَّر العقول، وهم مع ذَلك لَا يرعوُون ولا ينتهون ، ولا ينزعون ولا يرجِعون. ولم يؤمن منهم إِلَا القَليل[٢]فما أعظم جرم هذا الطاغية ، وما أشد ظلمه قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٣] وانكاره لدعوة الحق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾[٤] ولكن فرعون كذب موسى وعصاه ، واتهمه مرة بالجنون حيث قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[٥] ومرة بالسحر حيث قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ

---

[١] انظر دعوة الرسل عليهم السلام ، أحمد أحمد غلوش ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ١/ ٢٨٨-٢٨٩

[٢] انظر قصص الأنبياء ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، ط: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م ، ٧٥/٢

[٣] سورة يونس : ٨٣

[٤] سورة الزخرف: ٤٦ – ٤٧

[٥] سورة الشعراء: ٢٧.

يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[١] ، ومرة بالكذب كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[٢] ، ولكن الطغاة والمفسدين ، والمستكبرين لا يعبأون بالحق، ، ولا بمن جاء به ، بل يحاربونه بكل وسيلة ؛ لأنه يردعهم عن قهر العباد ، وظلمهم ، واستعبادهم لهم ، وهم لا يريدون ذلك ، والله لا يتركهم على هذه الحال ، بل يأمر رسله أن يذهبوا إليهم لدعوتهم إلى الله ، ورفع الظلم عن العباد كما قال سبحانه لموسى – عليه السلام –: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ *فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ *فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ *فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾[٤] فلما كذبوا موسى ، وردوا ما جاء به ، وأضلوا قومهم عن الهدى ، وزاد طغيانهم وأذاهم ، ساقهم الله إلى مصارعهم ، وعاقبهم بسوء صنيعهم ، وحاق بفرعون وآله سوء العذاب ، فلما يئس موسى من إيمانهم بعد ما رأوا الآيات البينات، وحقت عليهم كلمة العذاب، وآن لبني إسرائيل أن ينجيهم الله من

---

[١] سورة الشعراء: ٣٤ – ٣٥

[٢] سورة غافر: ٢٣ – ٣٤

[٣] سورة النازعات: ١٧ – ٢٦.

[٤] سورة المؤمنون: ٤٥ – ٤٨.

أسرهم ، ويمكِّن لهم في الأرض كما وعدهم ، أوحى الله إلى موسى – عليه السلام – أن يخرج بهم قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[١]
فماذا حصل من فرعون وقومه لما علموا بخروج موسى وبني إسرائيل؟. لقد حشر فرعون جيشاً عظيماً من مدائن مصر للقضاء على موسى ومن آمن معه قال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ* وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[٢][٣]

فأخرجهم الله بحسن تدبيره من بساتين مصر، وجناتها الفائقة ، وعيونها المتدفقة ، وزروعهم ، وفواكههم المختلفة، وساقهم إلى مصارعهم كما قال سبحانه: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٤] وأورث بني إسرائيل فيما بعد هذه الجنات ، والبساتين ، والزروع ، والعيون ، والمقام الكريم كما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٥]. فتبع فرعون ، وقومه موسى ، وقومه وأدركوهم عند شروق الشمس ،كما قال سبحانه: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٦] وحان وقت الهلاك للمجرمين ، ونصرة الله للمؤمنين ، فأمر الله

---

[١] سورة الشعراء: ٥٢

[٢] سورة الشعراء: ٥٣ – ٥٦

[٣] انظر موسوعة فقه القلوب ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، الناشر: بيت الأفكار الدولية ، ٤/ ٢٩٦٦–٢٩٦٧

[٤] سورة الشعراء: ٥٧ – ٥٨

[٥] سورة الشعراء: ٥٩

[٦] سورة الشعراء: ٦٠ – ٦٢

موسى أن يضرب البحر بعصاه ؛ ليفتح به طريقاً آمناً لأوليائه ، ويجعله مقبرة لأعدائه كما قال سبحانه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ❁ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ❁ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ❁ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ❁ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ❁ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(١) فسبحان من يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء بطاعته ، ويذل من يشاء بمعصيته ، ونزلت عقوبة الله بهؤلاء الطغاة: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (٢)، وحق وعد الله لموسى ومن آمن معه بالنصر ، والتمكين في الأرض كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (٣).، فكل أمة من الأمم المكذبة للرسل أخذها الله بذنبها على قدرها ، وبعقوبة مناسبة لها ، وما ظلمهم الله ولكن الناس أنفسهم يظلمون: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٤) أما عقوبة هذه الأمم المكذبة يوم القيامة فهي بالنار، وهم في العذاب متفاوتون، وأشدهم عذاباً آل فرعون كما قال

---

[١] سورة الشعراء: ٦٣ – ٦٨

[٢] سورة الأعراف: ١٣٦

[٣] سورة الأعراف: ١٣٧

[٤] سورة العنكبوت: ٤٠

سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[1][2] أين الظالمون ؟ وأين التابعون لهم في الغي ؟ أين من دوّخوا الدنيا بسطوتهم ، وذكرهم في الورىٰ ظلم ، وطغيان ؟

هل أبقىٰ الموت ذا عزٍ لعزته ؟ أو هل نجا منه بالأموال الإنسان ؟

فلا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلىٰ النّدمِ

تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ [3]

وما الذي أَرسل علىٰ قومِ ثمود الصيحة حتىٰ قطعت قلوبهم في أَجوافهم وماتوا عن آخرهم ؟ وما الذي رفع قرىٰ اللوطية حتىٰ سمعت الملَائكة نبيح كلابهم ، ثم قلبها عليهِم ، فجعل عالِيها سافلها ، فأَهلكهم جميعًا، ثم أَتبعهم حجارةً من السماء أَمطرها عليهم ، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه علىٰ أُمة غيرهم ، ولِإخوانهم أَمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد ؟ وما الذي أَرسل علىٰ قومِ شعيب سحاب العذاب كالظلل ، فلما صار فوق رُءُوسهم أَمطر عليهم ناراً تلظىٰ ؟ وما الذي أَغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أَرواحهم إِلىٰ جهنم ، فَالأَجساد للغرق ، والأَرواح للحرق ؟ وما الذِي خسف بقارون وداره وماله وأَهله ؟ وما الذي أَهلك القرون من بعد نوحٍ بأَنواعِ العقوبات ، ودمرها تدمِيرًا ؟ وما الذي أَهلك قوم

---

[1] سورة غافر: ٤٥ – ٤٦

[2] انظر موسوعة فقه القلوب ، ٤/ ٢٩٦٧-٢٩٦٨

[3] انظر مجلة البيان ، عدد: ٢٣٨ ص ٦

صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم[1]﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]. ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3] (٣) فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من الأمم السابقة عند مشاهدتكم لآثارهم و كيف صار آخر أمرهم إلى خراب الديار بعد هلاك الأبدان بالعذاب[4]سيروا سير المعتبرين المتفكرين لتعرفوا مآل من كذب الرسل [5]وانظروا إلى اثار الله فيهم وآثار سخطه النازل بهم، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم [6]فالمؤمن مهما عظمت بالله صلته فلا ينبغي أن يغتر به أو يحسب الدنيا دانت له أو يظن أن قوانينها الثابتة طوع يديه! كلا، فالحذر البالغ والعمل الدائم هما عدتا المسلم لبلوغ أهدافه المرسومة، ويوم يحسب المسلم أن الأيام كلها كتبت له، وأن شيئا منها لم يكن عليه،

---

[1] انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ الناشر: دار المعرفة – المغرب ، ط الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، ١/ ٤٣

[2] سورة العنكبوت: ٤٠

[3] سورة آل عمران:١٣٧

[4] انظر فتح القدير ، للشوكاني ، ٣ / ١٩٤

[5] انظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، ٧/ ٢٤١

[6] انظر جامع البيان في تأويل القرآن ، ابن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ١٧١ / ٢٠١

وأن أمجاد الدارين تنال دون بذل التكاليف الباهظة، فقد سار في طريق الفشل الذريع[1]

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾[2]

[1] انظر فقه السيرة ، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) ، دار القلم – دمشق ، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني ،ط: الأولى ، ١٤٢٧ هـ ، ١ / ٢٧٠ ، وانظر دراسة في السيرة ، عماد الدين خليل ، دار النفائس – بيروت ،ط : الثانية – ١٤٢٥ هـ ، ١ / ١٦٨

[2] سورة ال عمران : ١٤٠

المطلب : الخامس :النظر والتفكر في أحوال الطير

الطيور تلك المخلوقات العجيبة فيها من الأسرار ما يعلمه رب الأرباب تراها مستيقظة باكرة من أوكارها ، وأعشاشها تترنح بأعلى الأصوات وتذكر الله قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[1] (تجمل الأشجار بأجنحتها البراقة مصطفة على الأغصان تطير، وتجول في السماء من ممسكها؟أليس الله – عز وجل–؟ قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطير فَوْقَهُمْ صافات وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرحمان إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [2]فيه " حث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا الرَّحْمَنُ﴾ فإنه الذي سخر لهن الجو، وجعل أجسادهن وخلقتهن في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على قدرة الباري، وعنايته الربانية، وأنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقتضيه حكمته[3].وانظر، وتفكر كيف تحافظ على صغارها ؟ وكيف هيأها الله لذلك ؟ وكيف تبحث عن رزقها ؟ وانظر إلى صغار الطير الملونة الأجنحة ، والمناقير تستيقظ نشيطة ، فتحرك أجنحتها في بطء ، وتمد مناقيرها إلى أعلى تتحسس الحياة ، وتترقب اليقظة ؛ لتتأهب للنهوض من أعشاشها ، وتنطلق حيث تتجمع على منصات الشجر،

---

[1] سورة النور :٤١

[2] سورة الملك: ١٩

[3] انظر تفسير السعدي ، ١ / ٨٧٧

وفوق ذوائب الأغصان من علمها أليس الله – عز وجل– ؟ ، وتعدى جمال تلك الطيور التي في الطبيعة إلى قلبك أيها الأنسان فأودعت فيك السرور والبهجة[١]تأمل هذا المشهد، ومتابعة كل نوع من الطير في حركاته الخاصة بنوعه، لا يمله النظر، ولا يمله القلب. وهو متعة فوق ما هو مثار تفكير وتدبر في صنع الله البديع، الذي يتعانق فيه الكمال والجمال! [٢]، ثم تمعن كيف تستطيع هذه الطيور أن تقطع أشواطاً عدة في السماء مروراً بالماء ، واليابسة ؟ ، وكيف تصل الى مبتغاها بحول وقوة من الله ؟ قال تعالى : ﴿قَالَ رَبُّنَا الذي أعطى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هدى﴾[٣]. قال بعضُ العلماءِ: للطيور قوة خارقة لقطع المسافات التي تقوم بها ، ولا يوجد مخلوق على وجه الأرض أقوى من الطير في قطع المسافات الشاسعة ، لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى[٤]وتستطيع أن ترى عينه دائرةً تامة أما الإنسان ، فيرى مئة وثمانين درجة ، وحينما يدير وجهه ، ورأسه تتسع هذه الدرجات، لكنَّ الطائر مزوَّد بعينين جانبيتين، تمسحان الدائرةَ بأكملها، إن الطيور من أكثر مخلوقات الله جمالاً، ومن أجملها نغماً، ومن أكثرها استحواذاً على الإعجاب، توجد في كل بقعة من بقاع العالم ؛ في أطراف المناطق القطبية ، في قمم الجبال الشامخة ، في أكثر البحار هيجاناً ، في أكثر الغابات ظلمةً ، في أكثر الصحارى عرياً، في

---

[١] نظر ديوان الشيخ أحمد سحنون ، أحمد سحنون ، الناشر: منشورات الحبر (الجزائر) ، ط: الثانية، ٢٠٠٧ ، ٢/ ٣٨٦ ، ١ / ٦٠

[٢] انظر ظلال القران ،للسيد قطب ، ٦ /٣٦٤٢

[٣] سورة طه : ٥٠

[٤] انظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، محمد راتب النابلسي ، الناشر: دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا. ،ط: الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م. ، ٢/٢١٠

أكثر المدن ازدحاماً. عد العلماء حتى هذا التاريخِ من أنواع الطيور ما يزيد على تسعة آلاف نوعِ ، وقد زود الله – سبحانه وتعالى– الطير بوزن خفيف، يعِينه على الطيران، وأكياس هوائية منتشرة في كل أماكن جسمه ، تخفف من وزنه، وتبرد عضلاته الحارة ، بسبب شدة الخفقان ، وجعل عظامه مجوفة ، وجعل ريشه خفيفاً ، ليعينه على الطيران ، وأمده بميزات يحتاجها في طيرانه. وهو يتمتع بقوة البصر، بل إن قوة بصر بعضِ الطيور تزيد على قوة إبصار الإنسان ثمانية أضعاف ، وإن بعض أنواع الطيور يرى فريسته على بعد ألفين من الأمتار، والعين عند الطائر أكبر حجماً من مخه ، دون أن يدير رأسه ، وجسمه ، فبعض أنواع الطيور يرى الجيفةَ على ارتفاع ألفي متر، يراها واضحةً ، وبعضها يرى البيضةَ على الأشجار تحت الأوراق ، وبعضها الآخر يرى السمكةَ في الماء ، وهو في أعالي الجوِّ فيهوي في الماء، وينقضّ عليها ليأكلها. والطائر له سرعة تزيد على مئة وثلاثين كيلو متراً في الساعة ، وبعض أنواع الطيور يقطع ستة آلافِ كيلو متر دون توقف ، يطير ستاً وثمانين ساعة بلا توقّف قال تعالى : ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ [1]؛ أي طائرة تقطع هذه المسافة ، دون تزود بالوقود ، أو بالطعام ، أو بالشراب ؟ ، فلو لخصت خصائص الطائرةَ في كلمات لقلت : توليد القدرة بكفاية عالية ، وهيكل متين خفيف. قال علماء الحيوان: إن الشرطين متحقق على نحو فذٍّ في الطيور ، كفاية عالية في القدرة ، ووزن خفيف متين. وتأتي القدرة المحركة ، من عضلات صدر قوية ، وقلب كبير، مرتفع النبض ، وذي معدل ضخ سريع ، ويمكن لهذه الطيور أن تطير لفترات طويلة

[1] سورة النحل : ٧٩

، بل هي أسرع الحيوانات قاطبة. ويتحكم جهاز التنفسِ – الذي هو أعلى أجهزة تنفس الفقاريات كفاية – بالحرارة المتولدة من العضلات الدافعة. إن مصنعي المحركات يواجهون أكبر عقبة ، وهي عقبة تبريد المحرك ، فلو قصروا في التبريد لاحترق المحرك ، وهذا الطائر الذي يطير ما يزيد على خمسة آلاف كيلو متر بلا توقف ، وهو لا يتعرق ، وهو يبذل جهداً عالياً في الطيران ، ويحتاج هذا الجهد العالي إلى تبريد مثالي ، أي قلب له ؟ وأي ضخ له ؟ وأي نبض له ؟ وأي عضلات لا تكل ولا تتعب له ؟ ثم إن هناك قنوات من الرئتين ينفذ منها الهواء إلى كل أنحاء جسمه ، حتى أطراف أظلافه ، من أجل تبريد عضلاته في أثناء الطيران. شيء يأخذ بالألباب ! جهاز التنفس متشعب في كل جسم الطائر، الهواء الذي يستنشقه يتغلغل في كل عضلاته كي يبردها. إن استخدام الوقود ، الذي هو بعض الشحومِ المتوَضعة تحت جلده يتم بكفاية عالية. وتقطع بعض هذه عشرات الآلاف من الأميال فوق البحر، وفوق الجبال، وفي الصحراء ، والوديان ؟ وكيف يأخذ زاوية باتجاه الهدف ؟ هذا سر لا يزال يحير عقول العلماء ، وقد قال أحد العلماء: إن شيئاً ما يوجه الطيور إلى موطنها"، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الذي أعطى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هدى﴾[1] (١) وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[2] (٢) وَالطير لما فيها من إعجاز من أنها تطير، وتسير في الفضاء من غير أن يكون سيرها على أجرام جامدة تتحمل ما يسير عليها، بل هي تسير من غير جرم جامد

---

[1] سورة طه : ٥٠

[2] انظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، ٢/ ١٩٩–٢٠٨

ثقيل تسير عليه ، ولذلك خصها بالذكر لفضل ما تدل عليه من إبداع في الخلق والتكوين، حتىٰ كانت موضع درس للإنسان فأراد أن يقلدها، وتم له ما أراد فكانت الطائرات التي تقطع أجواء الفضاء، وسبحان من خلق كل شيء من غير مثال سبق، وقوله تعالىٰ:﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[١] (٣) أي تطير في الفضاء تسير صافات ، أي في صفوف متتالية ومتوازية ، الأجنحة وراء الأجنحة ، كما ترىٰ في أسراب الحمام ، وغيرها من الطير من انتقالها من مكان إلىٰ مكان متآخية منتظمة في صفوف، وذلك من إلهام العلي الخبير لها، و الطير تُسبح، كما يُسبح كل من في السماوات والأرض[٢] (٤) ومزوده بقوائم ذات مفاصل ، وهذه المفاصل داخلها عظام رقيقة دقيقة ، يجري فيها المخ ، والدم يقول الناظم:

يا من يرىٰ مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليلِ

ويرىٰ ويسمع كل ما هو دونه في قاع بحر مظلم متجلجلِ[٣]فإن الله تعالىٰ أودع في كل ذرة من مخلوقاته من الحكم والعبر ما لا يدركه عقول البلغاء ولا يحيط به فهم الأذكياء جاء في مقدّمةِ موسوعة علمية عملاقة عن الطيران: إنه ما من طائرة صنعها الإنسان ، ترتقي إلىٰ مستوىٰ الطير ، أو تجرُؤُ علىٰ أن تقترب منه. فالطيور التي خلقَها الله سبحانه وتعالىٰ آية من آياته[٤]، وعبرة في الكون وابداع ، ونعمة

---

[١] سورة النور : ٤١

[٢] انظر زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ،دار الفكر العربي ، أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين ، ٥٢٠٣/١٠

[٣] انظر فتح البيان في مقاصد القران ، ٢٦/٧

[٤] انظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، ٢ /١٩٨

للإنسان ينتفع بها في حياته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1] (٧) وللطيور، والحيوان ، والحشرات ، وسائل للتفاهم– هي لغاتها ومنطقها– فيما بينها ، والله سبحانه خالق هذه العوالم يقول: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ﴾[2] ولا تكون أمما حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها ، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها ، وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور ، والحيوان ، والحشرات[3]

فهذه الطيور لها نظامها ، وخصائصها ، وطريقة حياتها ، ومعاشها. وجميع المخلوقَات علمها عند الله ، وقد أَثبتها عنده في أُم الكتَاب ، لا ينسى واحداً منها من رزقه وتدبيره. وجميع الخلائق تحشر إلى ربها يوم القيامَة. [4] (فكما أن الناس يمسكهم نظام، ويضبط حياتهم سلوك، وتربط بينهم عادات، وتحكمهم قوانين، فكذلك كل جنس من أجناس الحيوان، وكل نوع من أنواعه.. له عالمه الذي يعيش فيه، وله تقاليده ، وعاداته ، ولغته التي يتفاهم بها، وله سلطانه الذي يأخذ به الخارجين على نظام الجماعة ، المتمردين على أوضاعها المستقرة فيها.. وللنظر وفى قوله تعالى: ﴿وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ﴾ – ما يسأل عنه–: لماذا كان ذكر الجناحين هنا، مع أن الطائر لا يطير إلا بجناحيه ؟ وهل هناك طائر يطير بغير جناحين ؟ وإذا كان من الطير ما يطير بلا جناحين، فهل يخرج من هذا الحكم الذي قضى الله به

---

[1] سورة الجاثية : ١٣

[2] سورة الانعام : ٣٨

[3] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٥/ ٢٦٣٤

[4] أيسر التفاسير ، أسعد حومد ، ١/ ٨٢٨

علىٰ الدواب والطير؟ واجواب علىٰ هذا، هو أن أجناس الطير كثيرة، متفاوتة القدر، مختلفة الحجم والصورة ، من النّسر، والصقر، إلىٰ البعوضة ، والذرّة.. وكلها ذات جناحين تطير بهما، ومن هذه الطيور ما لا ترىٰ العين جناحيه ، ولا يكاد يتصور العقل أنه يحمل أجنحة ، وفى ذكر القرآن للأجنحة التي لكل طائر، ما يدعو الإنسان إلىٰ إعادة النظر ، وإمعانه في هذه المخلوقات الضئيلة ، وفى دقة تركيبها ، وروعة بنائها، وأنها– علىٰ صغر جرمها– عالم متكامل ، في تكوينه ، قد أودعت يد القدرة فيه من الأجهزة ، والحواس ، ما أودعته في أرقىٰ الكائنات الحية ، من قوىٰ، ومشاعر، ومدركات.. وفى القرآن الكريم كشوف رائدة ، رائعة، عن عالم الحيوان ، وما أودع الخالق العظيم فيه من قوّىٰ وأسرار، لا تقل روعة وإحكاما ، عما في الإنسان [1]فسبحان من صنع ذلك ، حتىٰ أصبحت عقول البشر تتفكر في ذلك .

[1] التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفىٰ: بعد ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ٤/ ١٦٨

المطلب السادس : النظر والتفكر في الإبل وعجائب مخلوقاته.

الابل ذلك المخلوق العظيم الذي أعطاه الله الجلد ، والصبر ، وتحمل المشاق يقطع الصحاري من غير كلأ ، ولا ماء لعدة أيام تحت أشعة الشمس الحارقة انظر ، وتفكر في قوله الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[1] أي " فلا ينظرون نظر اعتبار. إلى الإبل كيف خلقت خلقاً دالاً على كمال قدرته ، وحسن تدبيره حيث خلقها ؛ لجر الأثقال إلى البلاد النائية ، فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لينوء بالأوقار، ترعى كل نابت ، وتحتمل العطش إلى عشر فصاعداً ؛ ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز".[2] وهب الله لهذه الجمال في تكوينها ما يسد حاجتها من الماء ، والطعام ، ويمدها بالقوة فهي " تخزن في سنامها من الشحم ما يعادِل خمس وزنِها ، ومنه يسحب ما يحتاج إليه من غذاءٍ "[3] وقت احتياجها لهذا المخزون " فإن خلقها عجيب وتركيبها غريب، فهي في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، "[4] والإبل حيوان العربي الأول. عليها يسافر ويحمل. فهي مورده الأول للحياة. ثم إن لها خصائص تفردها من بين

---

[1] سورة الغاشية : ١٧

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط: الأولى – ١٤١٨ هـ ، ٥/٣٠٨

[3] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، محمد راتب النابلسي ، ٢/ ١٦٦

[4] تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٨ /٣٧٨

الحيوان. فهي على قوتها وضخامتها وضلاعة تكوينها ذلول يقودها الصغير فتنقاد، وهي على عظم نفعها وخدمتها قليلة التكاليف. مرعاها ميسر، وكلفتها ضئيلة، وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع والعطش والكدح وسوء الأحوال.. ثم إن لهيئتها مزية في تناسق المشهد الطبيعي المعروض..لهذا كله يوجه القرآن أنظار المخاطبين إلى تدبر خلق الإبل وهي بين أيديهم، لا تحتاج منهم إلى نقلة ولا علم جديد.. ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ .. أفلا ينظرون إلى خلقتها وتكوينها؟ ثم يتدبرون: كيف خلقت على هذا النحو المناسب لوظيفتها، المحقق لغاية خلقها، المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعا! إنهم لم يخلقوها. وهي لم تخلق نفسها، فلا يبقى إلا أن تكون من إبداع المبدع المتفرد بصنعته[1]" وفي خلق الإبل منافع عظيمة تعتبرون بها ، ونعمة تستحق الشكر ، والتقدير والاستدلال على قدرة الله تعالى ، بتحويل الدم المتولد من الغداء في الغدد إلى لبن طيب سائغ شرابه ، كامل التغذية. ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾[2] " [3]كل هذا المنافع سخرة لك يا ابن آدم لتنعم ، وتغنم بخير تلك الجمال من ألبان ، ولحوماً ، وجلود ، وركوب لك أفلا

---

[1] انظر في ظلال القران ، لسيد قطب ، ٦ /٣٨٩٨

[2] سورة غافر: ٧٩ – ٨١

[3] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط: الثانية ، ١٤١٨ هـ ،١٨/ ٢٧

تتفكر في ذلك الخلق العظيم العجيب !!؟ ففي خلق الأبل عجائب عظيمة من حيث خلقتها وطبيعة عيشها ومن ذلك:

أولاً: أرجلها طويلة مستديرة تساعد على السير بخطوات واسعة ، فهي في الصحراء تجري سريعاً ، وتمشي مشية سريعة ، وفيها جمال كما ذكر لنا الله –عز وجل– حيث قال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾[1] مع أن كل الحيوانات ذات الأربع عند السير تسير بيد ورجل معاً ، فتسير على اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ، والعكس كأن تسير على اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ، إلا الإبل، فتسير على اليد اليمنى والرجل اليمنى معاً واليد اليسرى والرجل اليسرى معاً ، فكانت هي الوحيدة في بهيمة الأنعام التي تتحرك بهذا الشكل، ويرى الناظر في تمايلها جمالاً أخاذاً

ثانياً: طول رقبة الإبل ، ووضع الرأس عليها يساعد على اتزان الجسم في السير عند حمل الأثقال ، وقد يصل وزن ما يحمله الجمل على ظهره أكثر من مائة وخمسين كيلو.

ثالثاً: أن وزن رجليها الأمامية ، والجزء من الصدر الأمامي أثقل من الخلف ، بعكس غيرها من البقر ، والغنم، فإن مؤخرتها أثقل من المقدمة ، وقيل: إن خمسة وستين في المائة من وزن الجمل في الأعضاء الأمامية منه ، وهو عميق وضيق ويعطي قوة ارتكاز على الأرض إذا وقفت ، أو نزلت من منحدر كما يعينها إذا قامت.

رابعاً: خلق للإبل خف مفلطح كبير ، ولين ؛ ليساعدها على أن تمشي في الرمال فترات طويلة ، وما استحدثه الأمريكان اليوم من سيارات تمشي في الرمال المتحركة

---

[1] سورة النحل:٦

في الصحراء ما هو إلا محاكاة لخف الجمل ، فأخذوا من مواصفات أخفاف الإبل ، وسعها ، ولينها وما فيها من الوسائد الهوائية التي تساعد على حملها ، وتساعد على أن تمشي في الرمال من غير أن تتزحلق ، كما أن الخف اللين يساعد الجمل على عدم الإضرار بالنباتات الموجودة في الصحراء ، فهي لا تتضرر من مشي الإبل مع أنها ثقيلة الوزن.

خامساً: خلق الله – عز وجل– في الإبل وسائد من الجلد أسفل صدرها ، وعلى الركب ، وعلى الأرجل تساعد الإبل على الجلوس وعلى تحمل السير على الرمال الملتهبة ، بل قد لا يقدر الإنسان أن يضع يده أو رجله عليها ، ومع ذلك تجد الإبل تبرك فوقها من غير أن تتأذى من شدة الحرارة التي فيها ، فهي تعمل كعازل حراري لما فوقها.

سادساً: طبيعة الجلود لدى الإبل ، ووجود الوبر عليها يساعد على عزل ما داخل الجسد عن خارجه من طبقات الجو من الحرارة الشديدة. سابعاً: خلق الله – عز وجل– للجمل سناماً مليئاً بالمواد الدهنية ، وفائدة هذه المواد الدهنية أنها إذا عطش الجمل سرعان ما تتحول إلى ماء ، فيشرب منه الجمل ، ويظل فترة طويلة معتمداً على هذا المخزون من الدهون التي تتحول إلى ماء في وقت الحر الشديد ، فيستعين بها على شدة الحر ، وعلى العطش الشديد.

ثامناً: من خصائص التركيبة التي خلقها الله – عز وجل– فيها: أن الجفن العلوي في عينها ثابت لا يتحرك ، بينما الجفن الأسفل هو الذي يتحرك ، بخلاف غيرها من الحيوانات ، من أجل أن يدفع الرمال عن عينيها.

تاسعاً: يستطيع الجمل النظر في الصحراء مع شدة العواصف الرملية فيها.

عاشراً: خلق الله – عز وجل– في الإبل القدرة على تحمل الحرارة ، وعدم فقد الماء ، فالجمل لا يعرق إلا عند

درجة واحد وأربعين درجة مئوية ، وهي درجة قد يموت الإنسان فيها ، وبذلك يظل الماء محبوساً في جسمه ، كما أن بعر الجمل يكون جافاً خالياً من الماء من أجل أن يحافظ على الماء الموجود في الجسد.

الحادي عشر: يقل بول الجمل عند العطش والحر من أجل أن يتمكن من الاحتفاظ بالماء الموجود في جسده ، كما أنه إذا فقد كمية من الماء في فترة طويلة يستطيع أن يعوضها سريعاً ، فيمكنه أن يشرب خلال مرة واحدة أو مرتين من مائة وأربعة لتراً إلى مائة وتسعين لتراً ، وهذا يجعله قادراً على أن يظل شهراً في الصحراء مع شدة الحر والعطش. [1]ايضاً للإبل مزايا متعددة ، ومنها ما يرى الباحثون أن حليب الإبل يحتوي على خلاصات تنشط الكبد ، وتحرض على خروج المادة الصفراوية ، ويعد حليب الإبل مهم من أجل تغذية الإنسان ، وخصوصاً في تغذية الأشخاص المصابين بأمراض القلب ، ويعد حليب الإبل غني بفيتامين ج ؛ ولذا ينصح بإعطاء حليب الإبل للنساء الحوامل ، والمرضعات . ومن أهم مزايا حليب الإبل أنه يتميز دون غيره من الألبان الأخرى بامتلاكه لمركبات ذات طبيعة بروتينية ، ومضادات التخثر ، ومضادات التسمم ، ومضادات الجراثيم ، والأجسام المانعة الأخرى ؛ ولذا فحليب الإبل أقل إصابة بالحمى المالطية من كل أنواع الحليب الأخرى ، ويتفوق عن غيره ، بمحتواه العالي من أملاح الكالسيوم ، والماغنسيوم ،

---

[1] انظر تفسير الشيخ أحمد حطيبة ، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، ٤٧/ ٦

والبوتاسيوم ، والصوديوم بالإضافة إلى أنه غني أيضاً بأملاح الحديد ، والمنجنيز ، والنحاس ، والزنك ، والعناصر المعدنية الدقيقة الأخرى مما يضيف له مزايا علاجية جيدة ؛ لمن يعانون من فقر الدم ، وضعف النظام ، ويعتبر حليب الإبل غني بالفيتامينات ، وهو الذي يعزى إلى دوره في تقوية جهاز المناعة لشاربي حليب الإبل ، وعلاج كثير من الأمراض المرتبطة بخلل ، أو ضعف في جهاز المناعة. [(١)]ويشير الى أنه في الماضي البعيد استخدم العرب حليب الإبل في معالجة الكثير من الأمراض ، ومنها أوجاع البطن ، وخاصة المعدة ، والأمعاء ، ومرض الاستسقاء ، وأمراض الكبد ، وخاصة اليرقان ، وتليف الكبد ، وأمراض الربو ، وضيق التنفس ، ومرض السكري ، واستخدمته بعض القبائل لمعالجة الضعف الجنسي إضافة إلى أن حليب الإبل يساعد على تنمية العظام عند الأطفال ، ويقوي عضلة القلب بالذات ، واستخدمت أبوال الإبل ، وخاصة بول الناقة البكر كمادة مطهرة لغسل الجروح ، والقروح ، ولنمو الشعر، وتقويته ، وتكاثره ، ومنع تساقطه ، وكذا ؛ لمعالجة مرض القرع ، والقشرة ، ويقال أن في دماء الإبل القدرة على شفاء الإنسان من بعض الأمراض الخبيثة ، وقيل أن حليب الإبل يحمي اللثة ، ويقوي الأسنان نظراً لاحتوائه على كمية كبيرة من فيتامين ج ، ويساعد على ترميم خلايا الجسم ؛ لأن نوعية البروتين فيه تساعد على تنشيط خلايا الجسم المختلفة ، وبصورة عامة يحافظ حليب الإبل على الصحة العامة للإنسان ، وتشير النتائج الأولية للبحوث التي أجراها بعض الخبراء ، والعلماء أن تركيب الأحماض الأمينية في حليب الأبل تشبه في تركيبها هرمون الأنسولين ، وأن نسبة الدهن في لحوم

[١] انظر أرشيف ملتقى أهل الحديث ، (١) ٢٠٣/٥٦

الإبل قليلة ، ولهذا فإن من مزايا لحوم الإبل أنها تقلل من الإصابة بأمراض القلب عند الإنسان[١].

كما أن هناك أسرار أخرى عديدة في خلق الإبل لم يتوصل العلم بعد إلى معرفة حكمتها ، وخاصة ما يتعلق بألبانها ، من حيث تركيبها وفوائدها كغذاء ودواء[٢]

المطلب السابع :النظر في نعم الله وتفاوت الناس فيها والتفاضل بينهم

قال الله تعالى: :﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[٣] .أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك. [٤]

كما يخبر الله عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، اذ إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها الخلق[٥]،فالإنسان يتقلب في هذه النعم وهي مسخرة له كما ذكرنا في المباحث السابقة من خلقته إلى آيات الله في الكون فعليه أن يجتهد ؛ لتحقيق تلك الغاية ، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله

---

١ انظر أرشيف ملتقى أهل الحديث (٥) ٨٩/١٤٤ مقال محمد مراد

٢ انظر الموسوعة القرآنية المتخصصة ، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر عام ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

١ /٧١٣

٣ سورة ابراهيم :٣٤

٤ تفسير الكريم المنان ،للسعدي، ٤٢٦/١

٥ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ٤/ ٥١١

تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم[١].قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] . وإنها لنعمة أن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده. فيخرج من التيه والحيرة والضلال والشرود، إلى المعرفة والطمأنينة والاستقرار والهدوء[٣].﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٤] " وعمَّكم بنعمه الظاهرة على الأبدان ، والجوارح ، والباطنة في العقول والقلوب ، وما ادَّخره لكم مما لا تعلمونه ؟ "[٥] فوجود الإنسان ابتداء نعمة من الله وفضل وتزويده بطاقاته واستعداداته ومواهبه هذه نعمة من الله وفضل وإرسال رسله وتنزيل كتبه فضل أكبر ونعمة أجل ووصله بروح الله من قبل هذا كله نعمة من الله وفضل وكل نفس يتنفسه، وكل خفقة يخفقها قلبه، وكل منظر تلتقطه عينه، وكل صوت تلتقطه أذنه، وكل خاطر يهجس في ضميره، وكل فكرة يتدبرها عقله.. إن هي إلا نعمة ما كان لينالها لولا فضل الله ..وما كان الإنسان ليستطيع الحياة على هذا الكوكب لو لم تكن نواميس الكون مواتية لحياته، موافقة لفطرته، ملبية لحاجاته[٦].

---

١ انظر تفسير السعدي ،١ /٨١٣

٢ سورة الذاريات: ٥٦

٣ ظلال القران ٤ /٢١٠٩

٤ سورة لقمان : ٢٠

٥ التفسير الميسر ، ١/ ٤١٣

٦ انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ٢١٦٢/٤ ، ٢١٨٥

" النعم تنقسم إلى ما هو غاية مطلوبة لذاتها ، وإلى ما هو مطلوب ؛ لأجل الغاية. أما الغاية فهي سعادة الآخرة ، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لا فناء له ، وسرور لا غم فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر بعده ، وهى السعادة الحقيقية ، وأما القسم الثاني : فهو الوسائل إلى السعادة المذكورة ، وهى أربعة أقسام : أعلاها: فضائل النفس ، كالإيمان ، وحسن الخلق. الثاني: فضائل البدن ، من القوة ، والصحة ، ونحوهما. الثالث: النعم المطيفة للبدن ، من المال ، والجاه ، والأهل . الرابع : الأسباب التي جمع بينها ، وبين ما يناسب الفضائل ، من الهداية ، والإرشاد ، والتسديد، "[١]

وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله، عز وجل، حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة[٢]ومما يستعان به على معرفة قدر نعم الله على العبد التفكر فيها ، وبالتفكر في حال نفسه قبل وجودها فينظر إذا كان غنياً إلى حال فقره المتقدم حساً ، أو معنًى ، وينظر إذا كان صحيحاً إلى حاله حينما كان مريضاً ، وينظر إذا كان مطيعاً لله وقت عصيانه لله حيث من الله عليه بضد تلك الحالة ، وينظر إذا كان ذاكرًا لله على الدوام أيام كان غافلاً لاهياً ، وينظر إذا كان قارئاً أيام أن كان لا يقرأ ، ولينظر إذا كان عالماً إلى وقت جهله ، وينظر إذا كان له أولاد صالحين

---

[١] مختصرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينَ ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ) ، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان ، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م ، ١/ ٢٨٢–٢٨٣

[٢] انظر تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير ،١٨٥/٢

أيام إن لم يكن له أولاد ، وينظر إذا كان في مسكن واسع مناسب أيام أن كان يستأجر ، أو في بيت ضيق لا يرتضيه ، وهكذا كل نعمة ينظر إلى وجود ضدها الذي كان موجودًا قبل ذلك فلا شك أن من عمل بهذا يعرف قدرها فيشكرها فتدوم عليه بإذن الله تعالى لأن الله – جل وعلا– يقول وهو أصدق قائل ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] فمن شكر نعمة الله زاده الله منها ، وقيل الشكر قيد الموجود ، وصيد المفقود إِذَا شئت أَن تبقى من الله نعمة عليك فأَكثر حمده مع شكره ولا تعصين الله فيما رزقته ، فينزع عنك الله واسع رزقه[٢]

ما للألسن عن شكر نعم الله المتتالية قاصرة ، وما للعيون إلى زهرة الحياة الدنيا الفانية ناظرة ، وما للأقدام عن طريق الهداية الواضحة حائرة، وما للعزائم، والهمم عن العمل الصالح فاترة ، وما للنفوس لا تتزود من التقوى ، وهي مسافرة ، وما لها لا تتأهب ، وتستعد للنقلة إلى الدار الآخرة ، ركونا إلى الدنيا وقد فرقت الجموع ، وكسرت أعناق الأكاسرة ، وقصرت آمال القياصرة ، وأدارت على أهلها من تقلبها الدائرة ؟ أم اغترارا بالإقامة ، ومطايا الأيام بكم في كل لحظة سائرة ؟ أم تسويفًا بالتوبة ، والأعمال ؟ فهذه والله الفكرة ، والصفقة الخاسرة . لقد رانت على القلوب قبائح الأعمال ، وضربت عليها ، وعلى المسامع من الذنوب أقفال فيا خجلة من سئل ، فعدم الجواب ، أو بجواب يستحق عليه أليم العذاب ، ويا

---

١ سورة ابراهيم : ٧

٢ انظر موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان ، ، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ) ،ط: الثلاثون ١٤٢٤هـ ، ٣/ ٣٩٨ – ٣٩١

حسرة من نوقش عن الدقيق ، والجليل في الآخرة الحساب ، ويا ندامة من لم يحصل إلا على الغضب من الكريم الوهاب ويا خيبة من مآله إلى نار تلتهب إلى إحراقه التهابا ، فمتى تقبلون على الله بقلوب صادقة لا تنتهون من مفارقة الذنوب بعزمة صادقة ، لا في الصادقين تيقنون أنه ثابت لكم قدم ، ولا في التائبين صحت لكم توبة ، وإقلاع ، وعزم ، وندم ، ولا عند تلاوة كتاب الله تقشعر منكم الجلود ، ولا عند سماع المواعظ ترق منكم القلوب ، التي هي أقسى من الجلمود فبماذا ترجون لحاق السعداء ؟ وكيف تطعمون في الفوز ، والنجاة معهم غداً ؟ وأنتم تتبعون الخطايا بالخطايا وتبارزون الله بها في البكر والعشيا ، فيا حسرة نفوس أطمأنت إلى الدنيا دار الغرور، ويا خراب قلوب عمرت بأماني كلها باطل وزور، ويا نفاذ أعمار ينقص منها كل يوم وساعة ، ولا يزاد ويا خيبة مسافر يسير السير السريع ، وهو بلا زاد[١]

والتفكر في نعم الله من أفضل العبادة. وقال عبد الله بن المبارك[٢]لبعض أصحابه وقد رآه متفكراً : أين بلغت ؟ قال : الصراط. وقال بشر: لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: التفكر في الخير يدعو إلى العمل به ، فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة ، ومن المكاره إلى المحاب ، ومن الرغبة ، والحرص إلى الزهد ، والقناعة ، ومن سجن الدنيا إلى

---

[١] انظر مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ) ،١/ ٢٤٢

[٢] عبد الله" بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي أحد الأئمة روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وإسماعيل بن أبي خالد ويحيى بن سعيد الأنصاري وسعد بن سعيد الأنصاري ، تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥

فضاء الآخرة ، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم[١]وعلى المرء ان يعرف قدر تلك النعم ، ويعترف بفضل الله عليه ، ولا يستعملها في غير مرضات الله ؛ كالإسراف ، والتبذير، وشراء المحرمات ، أو إعطاء النعم لمن نهانا ربنا – عز وجل– عن إعطائهم ؛ كالسفهاء من الصبيان وغيرهم[٢]. قال تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[٣] إن الإسلام أعز ممن ينتمي إليه فإذا لم يجد أناسا يعرفون قدر نعمة الله عليهم به ويعضون عليه بالنواجذ ويرونه غنيمة ادخرها الله لهم فسوف يرتحل عنهم إلى غيرهم وسيجعل الله على هذه الأرض طائفة على الحق حتى يأذن الله بخراب العالم[٤]. ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٥] ولا تنظروا إلى من هو فوقكم في هذه الأشياء ، فإن ذلك يؤدي إلى القلق وكفران النعماء ، فالمعافى في بدنه ، أو ماله ، أو أهله ينظر إلى من ابتلي بشيء منها ليعرف قدر نعمة الله عليه ، وإذا كان هو مبتلى بشيء من ذلك ، فلينظر إلى من هو أعظم ابتلاء منه ، فإنه ما من مصيبة تصيب العبد إلا وفي الوجود ما هو أعظم منها فإذا كان غنيا ، فلينظر إلى الفقير، وإذا كان فقيراً ،

---

١ انظر موضوعات صالحة للخطب والوعظ ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، ١/ ١٩٣

٢ انظر المفيد في مهمات التوحيد ، الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، دار الاعلام ط: الأولى ١٤٢٢هـ– ١٤٢٣هـ ١/١٨٥

٣ سورة النساء : ٥

٤ انظر الضياء اللامع من الخطب الجوامع ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط : الأولى ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ٢/ ٣٣٠

٥ سورة محمد: ٣٨

فلينظر إلىٰ من هو أفقر منه مما لا يملك الفتيل ، ولا القطمير، ومهما أصيب المؤمن في شيء من دنياه ، فإن ذلك ليس بشيء عند سلامة دينه الذي هو عصمة أمره في دنياه وأخراه ، فدين الإسلام ، ولله الحمد ، هو الكسب الذي نعتز به ، ونفاخر، وهو الذخر الذي نعده لليوم الآخر، الدين هو التجارة التي تنجي من العذاب الأليم، وتقرب العبد إلىٰ المولىٰ الرحيم ، فيا أيها المبتلىٰ اصبر علىٰ البلوىٰ ، واذكر من هو أعظم منك ، وأكثر، ضررا، ثم انظر إلىٰ ما أنعم الله به عليك من الإيمان ، واستعن به علىٰ مقاومة المصائب بالصبر، ومقابلة النعم بالشكران.[1]قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] اعلم أَن العبد لَا يكون شاكراً لمولاه إِلَا إِذَا استعمل نعمته في محبته ، أَي فيما أَحبه لعبده لا لنفسه ، وأَما إِذَا استعمل نعمته فيما كرهه فقد كفر نعمته ، كما إِذَا أهملها وعطلها، وإِن كان هذَا دون الأَول إلا أَنه كفران للنعمة بالضييع ، وَكل ما خلق فِي الدنيا إِنما خلق آلة للعبد ليتوصل بِه إِلىٰ سعادته ، ثم إِن فعل الشُّكر وترك الكفر لا يتم إِلا بمعرفة ما يحبه اللَّه – تعالىٰ – عما يكرهه[3]وقَال الإِمام الحافظ ابن الجوزي فِي: عباد اللَّه قد توَفَرت النعم عليكم فاشكروا ، وقَد أُعطيتم ما لم تسأَلوا فاذكروا ، واعرفوا المنعم واعلموا أَن النعم منه ، وتعبدوا بشكره ، وقصوا أَجنحة النعم بمقراض الشكر ،

---

[1] انظر الضياء اللامع من الخطب الجوامع ، محمد العثيمين ، ١١٨/١

[2] سورة النحل: ٩٧

[3] انظر موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفىٰ: ١٣٣٢هـ) ، المحقق: مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، سنة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ، ١/ ٢٨٥ (تنبيه) : الكتاب مرتبط بنسخة مصورة مخالفة في الترقيم

فقل أَن تنفر فتعود. واحذروا لباس البطر في النعم ، واطلبوا بالشكر المزيد[1]وعلى المرء ان يحذر من الذين قال الله فيهم : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2] وانظر أيها الإنسان إلى نفسك بأن وهبك الله نعمة النطق التي يُبين بها الإنسانُ عن مراده ، ويقول القول السديد ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر، ومن فقدها لم تحصل له هذه الأمور، ولا يُمكنه التفاهم مع غيره إلاَّ بالإشارة ، أو الكتابة إن كان كاتباً،[3] قال الله – عز وجل– : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4] ، واحذر من أن تقيس نفسك على غيرك في النعم فالله سبحانه قسم النعم بين الناس لحكمة ارادها سبحانه وقد يكون ذلك بلاء للمؤمن وامتحان له فعليك بداء القناعة وأن الله لم يرد بك إلا خيراً في جميع أحوالك وما حرمت من شيء إلا لله فيه حكمة له سبحانه

" إنّ المقاسم أرزاقٌ مقدّرة ... بين العباد فمحرومٌ ومدّخر

---

[1] انظر غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ) ، مؤسسة قرطبة – مصر ، ط: الثانية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م ، ٢/ ٢٨٣

[2] سورة النحل: ٨٣

[3] انظر رفقا أهل السنة بأهل السنة ، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية ط: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ١/ ١٠

[4] سورة النحل : ٧٦

فما رزقت فإن الله جالبه ... وما حرمت فما يجري به القدر [١]

---

[١] انظر الأمالي = شذور الأمالي = النوادر ، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ) ، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ،ط : الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م ، ٢/ ٢٢٣

المطلب الثامن : النظر لما قدم الناس من عمل الاخرة

جبل الله نفوس عباده على حب الثواب والسعي لنيله، ومهابة العقاب والحذر منه؛ ولذا فإن استحضار الثواب والعقاب من آكد دواعي لزوم الطاعة والاجتهاد في عمل الآخرة، ومن أعظم الزواجر عن اقتراف المعصية، والانغماس في بحور اللذة[١].ولا شك أن بحسب مراتب الأعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها[٢]فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار، وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده متبوعها والابتهاج بها، والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال ومتبوعه فيها في هذه الدار. وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثرا وجزاء ولذة ونعيما يخصه، لا يشبه أثر الآخر وجزاءه. لهذا تنوعت لذات أهل الجنة، وآلام أهل النار، وتنوع ما فيها من الطيبات والعقوبات[٣]فعلى العاقل التيقظ فى الأمور وترك السيئات والشرور فانه لا يشعر من اين يأتي العذاب من قبل الأعمال الدنيوية او من قبل الأعمال الاخروية [٤]قال تعالى:﴿يا أَيُّهَا

---

[١] انظر مجلة البيان الجزء ٢١٧/ ٦

[٢] انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية ،٩٨/٢

[٣] تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط الأولى – ١٤١٠ هـ ، ١/ ١٢٦

[٤] روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت ، ٥/ ٣٩

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١] يعني ليوم القيامة، أي : لينظر أحدكم أي شَيء قَدم لنفسه، عملًا صالحاً ينجيه أَم سيئا يوبقه [٢] والتقوى حالة في القلب يشير إليها اللفظ بظلاله، ولكن العبارة لا تبلغ تصوير حقيقتها. حالة تجعل القلب يقظا حساسا شاعرا بالله في كل حالة. خائفا متحرجا مستحييا أن يطلع عليه الله في حالة يكرهها. وعين الله على كل قلب في كل لحظة. فمتى يأمن أن لا يراه؟! وهو تعبير كذلك ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه.. ومجرد خطورة على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته. لينظر ماذا قدم لغده في هذه الصفحة.. وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف ومواضع نقص ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد. فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلا، ونصيبه من البر ضئيلا؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبدا، ولا يكف عن النظر والتقليب! ولا تنتهي الآية التي تثير كل هذه المشاعر حتى تلح على القلوب المؤمنة بمزيد من الإيقاع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فتزيد هذه القلوب حساسية ورهبة واستحياء.. والله خبير بما يعملون.. [٣]حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا

---

[١] الحشر : ١٨

[٢] انظر معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط: الرابعة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، ٨٦/٨ ، انظر جامع البيان في تأويل القران ، ابن جرير الطبري ، ٢٩/٢٣

[٣] انظر في ظلال القران ، سيد قطب ٣٥٣١/٦

ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم واتقوا الله ، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم

وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب من أموركم جليل ولا حقير؛ الا في كتاب [١]ومن فضل الله علينا ، ونعمه التي لاتعد أن جعل هذه العقيدة بحمد الله ميسرة ؛ لأنها في كتاب الله الذي نقرؤه دائماً ، وهو ميسر بين يدينا ، تستطيع قراءته ليلاً ، ونهاراً في جميع الأوقات ، وجعل ذلك مفصلاً في سيرة نبيه محمد – عليه السلام– فلا تكن ممن خسر وأفلس في الدنيا ، والآخرة ، وضيع أعماله ، فجاء يوم القيامة ، وقد خلى ميزان درجاته من الأعمال الصالحة ، وبعد ذلك لا ينفع الندم ." فمن اتقى الله ، وجدَّ في الأعمال ، وصابر، فإن الله يعينه ، ويفتح له أبواب الخير، ويسهل له الأسباب النافعة ، ويمنحه الصبر على ذلك، ويثيبه الثواب الجزيل على صبره ، وإخلاصه ، وصدقه[٢]قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [٣]وعلى البشر أن يحرصوا على صدق النية في أعمالهم ، ولايكون من الذين قال الله – عز وجل– فيهم: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [٤]أي انهم يعولون على اعمالهم التي يظنونها من الخير ويطمعون في ثوابها ، فاذا قدموا على الله سبحانه، لم يجدوا منها شيئا [٥].ويتحسرون اعلى درجات الندامة

---

[١] انظر تفسير القران العظيم ، لابن كثير ، ١٠٦/٨

[٢] انظر دروس للشيخ عبد العزيز بن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى : ١٤٢٠هـ) ، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ١/ ٣ –٧ ، ٧/٢

[٣] سورة التوبة:١١٩

[٤] سورة النور:٣٩

[٥] انظر تفسير فتح القدير ، للشوكاني ، ٤٦/٤

على شيء فائت قال تعالى [1]: ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[2] فلا بد لمريد النجاة ان يسعى للوسائل المعينة له التي تثبته على الطاعة ، وتعينه على صدق النية ، والإخلاص لله تعالى ، وعمل ما فيه نجاته إذا وقف للحساب بين يدي ربه ، وتجاوز العقبات التي تدفعه إلى الزلل ، وتحول بينه ، وبين عمل الآخرة[3]، قال ابن مسعود: إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ، ولا من عمل الآخرة [4]". وعليه أن يكون حريصا كل الحرص على عمله الذي سوف يلاقي الله به ، وأن يتزود ليوم آخرته قال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [5]ويجمع بين عمل الدنيا النافع ، وبين عمل الآخرة الخالص ، والتزود من القوت ، والتزود من الطاعة ، فهو خير له في حياته ؛ لأن الدنيا ليست بدار قرار ، وأنها دار سفر ورحيل ، ، والفطن من تنبه لذلك ، ونجا بنفسه " فسار الناس ببضائع الأعمال فربح المتيقظون ربحاً كثيراً ، وهلك المفرطون فكل منهم عاد مسكينا فقيراً ، عرضت لهم الشهوات فصار

---

[1] انظر الجامع لأحكام القران ، ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(المتوفى ٦٧١هـ) ، تحقيق احمد البردوني وابراهيم اطفش ، دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، ط: الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ، ٢/ ٢٠

[2] سورة لبقرة : ١٦٧

[3] مجلة البيان ، عدد ٢١٧ / ٦

[4] انظر رشيف ملتقى اهل الحديث ٥ ، ١٠٧/ ٢٢٩

[5] سورة البقرة : ١٩٧

الجاهل لها أسيراً ، وكم حثه الشرع على الجد ، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾[١]

، والعمر بضاعة للآدمي ، لكنه فرط ، وما علم أن الدنيا ميدانُ سباق ، وأن التفاضل في السباق على مقدار الهمم ، وتفاوت الهمم على قدر الإيمان بالآخرة ، فمن صدق يقينه جد ، ومن تيقن طول الطريق استعد ، ومن قلت معرفته تثبط ، ومن لم يعرف المقصود تخبط ، وأن غاية العمر فوز برضاء الله ، ونجاة يوم الآخرة[٢] (١) قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٣] (٢) ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[٤] (٣) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : (التؤدة في كل شيء خيرٌ إلا في عمل الآخرة)[٥] (٤) أي: كل شيء التأني فيه طيب ، أن تتريث فيه ، وتدرسه ، وتفكر قبل عمله ، إلا في شيء واحد ، وهو عمل الآخرة ليس يه تأنٍ ، أي : سارع مباشرةً ، وسابق إلى هذا العمل ، وبعد كل هذه الطاعات احتقار النفس أمام الواجب في حق الله من هذه الطاعات بعد أن تفعل هذا كله تحتقر نفسك ، وتحتقر هذه الطاعة ، يقول ابن القيم رحمه الله ناقداً بعضهم : وكل ما شهدت حقيقة الربوبية ، وحقيقة العبودية ، وعرفت الله ، وعرفت النفس، ويتبين لك أن ما معك

---

[١] سورة الفرقان : ٦٢

[٢] انظر أرشيف ملتقى أهل الحديث (٤) ٣٧٠/٨١

[٣] سورة آل عمران:١٣٣

[٤] سورة الحديد:٢١

[٥] انظر المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م ، ١٣٢/١ انظر سنن أبي داود، ،ابو داود سليمان السجستاني ، ١٨٧/٧

من البضاعة لا يصلح للملك الحق ، ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته ، وإنما يقبله سبحانه وتعالى بكرمه ، وجوده ، وتفضله ، ويثيبك عليه بكرمه ، وجوده ، وتفضله [١] (٥)، ولو جئت بعمل الثقلين ، ما وفيت نعمة واحدة من نعم الله ، فكيف والأعمال قليلة وشحيحة ؟! [٢] (٦) ولذا فإن استحضار الثواب ، والعقاب من آكد دواعي لزوم الطاعة ، والاجتهاد في عمل الآخرة ، ومن أعظم الزواجر عن اقتراف المعصية ، والانغماس في بحور اللذة[٣] (٧) ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٤] (٨) وبذل الجهد في عمل الآخرة ؛ فإنها متى علمت النفس بأن الله تعالى مثيبُها على الطاعات في جنة عرضها السموات ، والارض ، ومعاقبُها على معصيته ، والإعراض عن ذكره بنار وقودها الناس ، والحجارة ، فتحملها رغبة صادقة في أن تظفر بذلك النعيم ، وتنجو من ذلك الجحيم ، وتسعى لذلك سعياً حثيثاً ؛ فالرجاء يحدو القلوب إلى الله تعالى ، ويطيب لها السير، والخوف يبعدها عن الدنيا ، ويحرق مواضع الشهوات منها. يقول ابن القيم : "

---

[١] انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ، ١/١٤٩

[٢] انظر دروس للشيخ محمد المنجد ، محمد صالح المنجد مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، ١٩٣/ ٨

[٣] انظر مجلة البيان ، عدد ٢١٧ / ٢

[٤] سورة البقرة: ٢٥

المصالح ، والخيرات ، واللذَّات ، والكمالات كلها لا تُنال إلا بحظ من المشقة ، ولا يُعبر إليها إلا على جسر من التعب ، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم ، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة ، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة ، واللذة ، فلا فرحة لمن لا همَّ له ، ولا لذة لمن لا صبر له ، ولا نعيم لمن لا شقاء له ، ولا راحة لمن لا تعب له ، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً ، وإذا تحمَّل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد ، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة ، والله المستعان ، ولا قوة إلا بالله ، وكلما كانت النفوس أشرف ، والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل "[١]

فمتى رغَّب العبد نفسه بثمار التعبد ، ورهَّبها من عاقبة الانغماس في الشهوات طاوعته في الإعراض عن الدنيا ، بل وتلذذت بمشاق العمل الصالح ، والإقبال على الله تعالى ، فالرجاء ، والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود ، فلا يقود إلى قرب الرحمن ، وروح الجنان ، مع كونه بعيد الأرجاء ، ثقيل الأعباء ، محفوفاً بمكاره القلوب ، ومشاق الجوارح ، والأعضاء – إلا أَزمة الرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم ، والعذاب الأليم – مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات ، وعجائب اللذات – إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف ، فعلى العبد متى أراد إتيان طاعة أن يستحضر الثواب المترتب عليها والعقاب الذي يناله تاركها ؛ ليكون ذلك معواناً له في مغالبته لنفسه وقهره لها. فيا باغي الرفعة لا تسرح لنفسك في الطول؛ فما أنت إلا في مزرعة ، من يجني منها أكثر يعلو عند الله قدره ، وترتفع في الآخرة منزلته ، فبادر

---

[١] انظر مفتاح دار السعادة، لابن القيم الجوزية ، ١٥/٢

إلى العمل قبل أن يبادر بك ، فإنك عندها تغتبط بالمبادرة إلى الخير، وتندم على التفريط في أعمال البر. [1]فإن العمل الصالح هو ثمرة العلم النافع، الذي هو ثمرة التفكر، وإذا أردت فهم هذا بمثال حسي ، فطالب المال ما دام جاداً في طلبه ، فهو في كلال ، وتعب ، حتى إذا ظفر به استراح من كد الطلب ، وقدم من سفر التجارة ، فطالع ما حصله وأبصره ، وصحح في هذا الحال ما عساه غلط فيه في حال اشتغاله بالطلب ، فإذا صح له وبردت غنيمته له أخذ في صرف المال في وجوه الانتفاع المطلوبة منه ، والله أعلم[2] وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد ، وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح ، وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ، ولم يجاوز الدنيا فإن المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا مزرعة الآخرة ، وهي منزل من منازل الهدى ، وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين[3]ومن لم يزجر نفسه عن الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به تلك النفس ، فاستأنس بالآراء الفاسدة ، والأطماع الكاذبة ، والأماني العجيبة[4]متى تحذر مما توعد ، وتهدد ؟، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك ، وتتوقد ؟، إلى متى حسناتك تضمحل ، وسيئاتك تتجدد ؟ ، وإلى متى لا يهو لك زجراً الواعظ ، وإن شدد ؟ وإلى متى ، وأنت بين الفتور ، والتواني تردد

---

[1] انظر مجلة البيان الجزء ٢١٧/ ٦

[2] انظر مدارج السالكين ، لابن القيم الجوزية ، ١/ ٤٤٣

[3] انظر إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة – بيروت ، ٣/ ٥

[4] انظر ذم الهوى ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: مصطفى عبد الواحد مراجعة: محمد الغزالي١/ ٣٦

؟ متى تحذر يومًا تنطق فيه الجلود ، وتشهد ؟ ، متى تقبل على ما يبقى ، وتترك ما يفنى ، وينفد.؟ [(١)]

كم تناسى الْقُبُور يَا مغرور ... حفر مَا بهَا لعاص سرُور

وتعامى عَنْهَا وَأَنت ترَاهَا ... ورحاها على الْأَنَام تَدور

فَاتق الله حق تقواه وَاحْذَرْ ... كل هول يخافه المقبور

ودع اللَّهْو والبطالة واعمل ... للَّتِي عَاجلا إِلَيْهَا تصير

تِلْكَ دَار الْبَقَاء فَكل تَقِيّ ... فِي رباها مكرم محبور [(٢)]

المطلب التاسع : ثمرات النظر والتفكر في آيات الله

دلائل الله في هذا الكون الفسيح محراب للنظر والتفكر والتأمل الذي يقود القلب الى كشف حقائق تنجلي لهذا العقل المعتبر وترسم الطريق الذي يوضح مسار تلك العبادة الجليلة التي تورث ثمرات يستقي منها المؤمن نفعا عظيما في دنياه وآخرته ومنها :

اولاً : إدراك عظمة الخالق – سبحانه– وبديع قدرته ، وعجيب صنعه ، وإتقانه ، فلا مصادفة ،ولا خلل ، ولا نقص كما قال سبحانه: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(٣)]

---

[١] انظر موارد الظمآن لدروس الزمان ، عبد العزيز السلمان ، ٣/ ٣٤٧

[٢] بستان الواعظين ورياض السامعين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: أيمن البحيري ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان ، ط: الثانية ، ١٤١٩ – ١٩٩٨، ١/ ١٩٣

[٣] سورة النمل: ٨٨

ثانياً : زيادة الإيمان: فالتفكر يستدل به المرء على ما لله من صفات الكمال ، والجلال ، ويعلم أنه لا يخلق أحد كخلق الله ، ولا يدبر كتدبيره سبحانه وتعالى ، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات ، وما أودع فيها من لطائف البر ، والحكمة ، علم بذلك أنها خلقت للحق ، وبالحق ، وأنها صحائف آيات و، كتب دلالات على ما أخبر الله به عن نفسه ، ووحدانيته ، قال ابن العربي: أمر الله تعالى بالنظر في آياته ، والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن ، أراد بذلك زيادة في اليقين ، وقوة في الإيمان ، وتثبيتا للقلوب على التوحيد ، قيل لأبي الدرداء: أفترى الفكر عملا من الأعمال ؟ قال: نعم هو اليقين ، فالتفكر طريق العبد إلى اليقين ، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[1]. وقال بعض السلف: مازال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم حتى أيقنت قلوبهم بربهم .

ثالثاً : أن التفكر في جمال الكون ، وإتقانه يجعل الإنسان يدرك أن الله خلقه ؛ لأمر عظيم ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، وأنه سبحانه لم يخلق مثل هذا الكون الفسيح المتقن ؛ ليعبث الإنسان أو يعبد غير الخالق ، بل إن المتأمل لخلق الإنسان ابتداء ، وانتهاء ، والناظر فيما اختصه الله به من عقل ، وإرادة ، يدرك أنه إنما خلق ؛ لأمر عظيم . قال تبارك وتعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[2] قال قتادة رحمه الله : من تفكر في نفسه عرف أنما لينت مفاصله للعبادة.

[1] سورة الأنعام: ٧٥

[2] سورة الذاريات: ٢١

رابعاً: إن هذا التفكر بحد ذاته عبادة من أجلّ العبادات أمر الله بها ، وذم من غفل عنها ، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] ، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾[2] ، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [3]،﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[4][5]

خامساً : إن التفكر من صفات العلماء ومن أعظم العبادات التي تقود إلى الخشوع لله قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[6]

سادساً : أن التفكر مما يزيد التقوى ويرسخ الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ. ﴾[7][8]

---

[1] سورة يونس: ١٠١

[2] سورة الأعراف: ١٨٥

[3] سورة سبأ: ٩

[4] سورة يوسف: ١٠٥

[5] انظر فتاوى الشبكة الإسلامية ، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية ، باب ثمرات التفكر في خلق الكون ، ٩/ ٣٩٨٣

[6] سورة فاطر: ٢٧-٢٨

[7] سورة يونس: ٦

[8] انظر فتاوى الشبكة الإسلامية ، باب ثمرات التفكر في خلق الكون ، ٩ / ٣٩٨٣

قال ابن القيم – رحمه الله –: " التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على ما لا يوقعه عليه العمل المجرد ، فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور ، وظهورها له ، وتميز مراتبها في الخير ، والشر ، ومعرفة مفضولها ، وفاضلها ، وأقبحها من قبيحها ، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها ، وما يقاوم تلك الأسباب،ويدفع موجبها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله ، وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه"[1] .

سابعاً : التفكر يورث الشعور بجلال النعمة ، كما أنه يورث الخشية ، وهذا كله دافع إلى التقوى ، والتقرب الى الله تعالى[2].

ثامناً : التفكر في عظمة الله طريق المرء للعلم ، والتيقن وبوحدانيته وصفات كماله ، ونعوت جلاله من عموم قدرته ، وعلمه ، وَكمال حكمته ، ورحمته ، واحسانه ، وبره ، ولطفه ، وعدله ، ورضاه ، وغضبه ، وثوابه ، وعقابه ، فبهذا تعرف الى عباده ، وندبهم الى التفكر في آياته قال تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾[3][4]

تاسعاً : التفكر ، والنظر في آيات الله يولد اليقين للمرء فيستغرق قلبه ، ويفتح الله تبارك وتعالى به عليه معارف عظيمة ، فيلج على قلبه من الحقائق الإيمانية ، والمعارف القرآنية ما يجعله ينسى كل شيء في هذه الدنيا ، فحكمة واحدة يأخذها

[1] مفتاح دار السعادة ، لابن قيم الجوزية ، ١ / ١٨٠ ، انظر مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ٦٦/ ١٦٣

[2] انظر أرشيف ملتقى أهل التفسير ، رقم ٩٥٤٥

[3] سورة الإسراء: ١١١

[4] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية ، ١/ ١٨٧

ردة واحدة يردها إلى كتاب الله ، أو إلى سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، وإلى هذا النعيم الصافي العذب ، تروي قلبه ، وتنبت فيه شجرة الحكمة ، فيجني ثمارها هو ومن بعده. [1]كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات ، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات ، وزاد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة ، علم بذلك أنها خلقت للحق ، وبالحق ، وأنها صحائف آيات ، وكتب دلالات على ما أخبر الله به عن نفسه ، ووحدانيته ، وما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ، ولا استعصاء على مدبرها ، ومصرفها ،فيعلم أن العالم العلوي ، والسفلي كلهم إليه مفتقرون ، وإليه صائرون ، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات قال ابن العربي [2]:

" أمر الله تعالى بالنظر في آياته ، والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن ، أراد بذلك زيادة في اليقين ، وقوة في الإيمان ، وتثبيتا للقلوب على التوحيد ، قيل لأبي الدرداء : أفترى الفكر عملا من الأعمال ؟ قال: نعم هو اليقين ؛ فالتفكر طريق العبد إلى اليقين ، قال بعض السلف: مازال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم حتى أيقنت قلوبهم بربهم "[3].

---

[1] انظر أرشيف منتدى الألوكة – المعاصرة رقم ٣٨١

[2] ابن العربي :الامام العلامة ابو محمد بن عبدالله بن محمد العربي ولد عام ٤٣٥ وتوفي في مصر عام ٤٩٣ . انظر سير اعلام النبلاء ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايمز الذهبي ، المتوفى سنة ٨٤٨ ، دار الحديث ، القاهرة ، ط:١٤٢٧هـ ٢٠٠٦ م ، ١٦٣/١٤

[3] مجلة البحوث الإسلامية ، البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ٦٦/ ١٦٥

عاشراً : " إذا تفكرت في نعم الله عليك تشعر برحمة الله تبارك وتعالى ، فتثني عليه بما هو أهله ، وينور هذا القلب عندما يذكر النعم"[١] إذا كان ذكر الله يربي القلب ، والتفكر يهديه ، وهما معا يرفعان المؤمن إلى مرتبة الخوف من الله، فإن التذكر لله ، والتفكر في خلقه يفتح أيضا القلب للتصديق ، والإذعان للحقائق الدينية.

احدى عشر: ومن وثمرات التفكر إجابة نداء الحق ، والإيمان بالله ، ورسوله ، والغيب ، ولذلك كان شأن أولئك المتذكرين المتفكرين في خلقه أنهم بمجرد أن سمعوا نداء الإيمان أجابوا [٢]﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[٣] قال الحسن البصري[٤]: ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر ، وبالتفكر على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقت[٥]وتذكر المرء واتعاظه بالآيات إنما يبدأ من التفكر ؛ ولذلك قال بعض السلف: إن للموعظة غطاء، وكشف غطائها التفكر[٦]،

---

١ دروس الشيخ عمر الأشقر ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، ٥/٩

٢ انظر زهرة التفاسير ، المعروف بأبي زهرة ، ٣/ ١٥٥٠

٣ سورة ال عمران : ١٩٣

٤ الحسن ابن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين ، انظر تقريب التهذيب ، ١/١٦٠

٥ انظر: حلية الأولياء، وطبقات الاصفياء ،لابي نعيم احمد بن عبدالله بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني (المتوفي ٤٣٠) ، دار السعادة ، بجوار محافظة مصر ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤ م ١٠/ ١٩ ، وانظر: مدارج السالكين ، ابن القيم ، ١/ ٤٤٠.

٦ انظر: حلية الأولياء، لابي نعيم ، ٨/ ٢٠٨ ، وانظر مجله البحوث الاسلامية ١٦٦/٦٦

و(عن سفيان بن عيينة[1]، قال: التفكر مفتاح الرحمة ، أَلا ترىٰ أنه يتفكر فيتوب)[2]حدثنا سليمان بن أَحمد، إملاء ، ثنا أَبو زرعة الدمشقي ، ثنا أَبو نعيم ، ثنا مالك بن مغول ، قَال : سمعت عون بن عبد الله بن عتبة ، يقول : " سأَلت أُم الدرداء: ما كان أَفضل عمل أَبي الدرداء ؟ قالت: التفكر والِاعتبار " رواه وَكيع ، عن مالك مثله[3].

---

[1] سفيان بن عيينه بن ابي عمران ميمون الهلالي ابو محمد الكوفي ثم المكي مات في رجب سنة ٩٨ وعمره ٩١ سنة انظر تقريب التهذيب ١/ ٢٤٥

[2] انظر حلية الأولياء ، لابي نعيم ، ٧/ ٣٠٦ ، وانظر العظمة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفىٰ: ٣٦٩هـ) ، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة – الرياض ، ط: الأولىٰ، ١٤٠٨، ١/ ٢٦٣

[3] حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ابو نعيم الاصبهاني ، ٢٠٨/١ ، انظر المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفىٰ: ٢٣٥هـ) ، المحقق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ،ط : الأولىٰ، ١٤٠٩ ، ١١١/٧

وانظر: الزهد ، لأبي داود السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفىٰ: ٢٧٥هـ) ،تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف ، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان ، ط: الأولىٰ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م ، ١/ ١٩١ ، وانظر السنن الكبرىٰ ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفىٰ: ٣٠٣هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م) ، ١٠/ ٤٠٤ ، وانظر العظمة ، أبو محمد المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني ، ١/ ٣٠٢ ، انظر شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفىٰ: ٤٥٨هـ) ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف علىٰ تحقيقه وتخريج

حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، حدثنا أَحمد بن سعيد حدثنا ابن وهب ، أَخبرني عبد الله بن عياش ، عن يزيد بن قوذر ، عن كعب رضي الله عنه قَال : من أَراد أَن يبلغ شرف الآخرة ، فليكثر التفكر يكن عالماً[١] .

المبحث الثاني النظر والتفكر المنهي عنه.

المطلب الأول : النظر إلى من متع بالحياة الدنيا

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٢] " أي: لا تمد عينيك معجباً ، ولا حاسداً ، ولا تكرر النظر مستحسناً إلى أحوال الدنيا ، والممتعين بها ، من المراتب العليا علماً ، او عملاً ، أو من كثرة الأموال ، والمآكل والمشارب اللذيذة ، والملابس الفاخرة ، والقصور المزخرفة، والنساء المجملة ، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا ، تبتهج بها نفوس المغترين ، وتأخذ إعجاباً بأبصار المعرضين ، ويتمتع بها – بقطع النظر عن الآخرة – القوم الظالمون ، ثم تذهب سريعا ، وتمضي جميعا ، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة ، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في يوم القيامة ، وإنما جعلها الله فتنة ، واختباراً ؛ ليعلم من يقف عندها ، ويغتر بها ، ومن هو أحسن عملا بها كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ

أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، ط الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م ١/ ٢٦٢

[١] العظمة ، لأبي الشيخ الأصبهاني ، ١/ ٣١١– ٣١٢ ، وانظر حلية الأولياء والاصفياء ، ابو نعيم الاصبهاني ٦/ ١٣

[٢] سورة طه : ١٣١

زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[١] ورزق ربكَ العاجل من العلم ، والإيمان ، وحقائق الأعمال الصالحة ، والآجل من النعيم المقيم ، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم خير مما متعنا به أزواجاً في ذاته ، وصفاته وأبقى ؛ لكونه لا ينقطع أُكلها دائم وظلها كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [٢]وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا وإقبالا عليها أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا "[٣] ، وعليك أيها المؤمن أن تقنع بما كتبه الله لك من رزق في هذه الدنيا من المال ، والولد ، والأهل ، والصحة ، والسقم ، والخلقة التي خلقك الله عليها ، وترضى ، وتُسلم بنعم الله عليك ليطمئن قلبك ، وتعيش هانئ البال ، ولتنعم بالقناعة ، وراحة النفس ، وأياك ، والحسد ، والتطلع إلى ما في يد الغير وتمني زوالها ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٤] إذا رأيت أحداً أعطاه الله تعالى ، أو منَّ عليه ، فافرح كما لو كانت هذه النعمة حلت بك ؛ لتكون شريكاً في هذه النعمة ، وفي هذه السعادة. ، ولتنال ثواب الدنيا والآخرة فالإنسان إذا طمع أصبح عبداً لمطامعه ، ولا يقنع بشيء مهما أوتي من الأموال[٥](حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ

---

[١] سورة الكهف: ٧

[٢] سورة الاعلى : ١٦-١٧

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،للسعدي ، ١/ ٥١٦

[٤] سورة النساء: ٥٤

[٥] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ١/ ١٨٢ ، انظر دروس للشيخ سلمان العودة ، سلمان بن فهد بن عبد الله العودة، الشبكة الإسلامية ، ٣٢/١ ،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا ، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ) [١]" فالحسد داء ينهك القلب ، والجسد ، منه تتولد العداوة ، ومنه يتولد الحقد ، صاحبه يصيبه غم لا ينقطع ، ومصيبة لا يؤجر عليها ، ومذمة لا يحمد عليها ، وسخط الرب ، وغلق باب التوفيق." [٢]" ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتا مراً مذاقه نماؤه الغيظ ، وثمرته الندم"[٣] أن كل نعمة أنعمها الله لك ، ولغيرك فإنما هي اختبار من أجل أن تودي شكر تلك النعم قال تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[٤] فلا يبهرك كثرة المال ، والجاه فقد يكون ذلك ، ووبالاً ، وغماً في الدنيا ، والآخرة قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٥] وقد تكون ممن نجاه الله من ذلك فتكون أنت من ربح ، ولوكان ذلك المتاع عندك فقد لا تقوم بحق الله فيه فهو سبحانه يعلم مانحن فاعلون ، ولم يكتب لنا هذا الشيء إلا لحكمة يريد بنا خيراً ، وتفكر أن هذا المتاع ، وإن كثر لا يقاس بمتاع الآخرة الذي ، وعد الله به عباده المؤمنين قال

---

[١] صحيح البخاري ، ٩٢/٨ ، صحيح مسلم ، ٧٢٥/٢

[٢] دروس للشيخ صالح بن حميد ، د صالح بن عبد الله بن حميد مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ٤/١

[٣] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١/ ١٣٤

[٤] سورة النمل : ٤٠

[٥] التوبة : ٥٥

تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1] ، ولا شك أن الإنسان الذي يشغل نفسه في حساب نعم غيره تجده مذموماً مكروهاً أمام الناس ، وقد نال الذل ، وخسر قلبه وسعادته ، وأشعل الضغينة ، والحقد ليس ذلك فحسب بل جنىٰ علىٰ نفسه ، وخسر أعماله ؛ لأن ذلك النظر المذموم إن استفحل وتمادىٰ ، واشغل فكره فيه تبعه حسد ، ونميمة ، وغيبة ، ومعصية عظمية ، فأصبح ذلك النظر ، وخيمة علىٰ صاحبه في الدنيا ، والآخرة (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الطَّلْحِيُّ ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ غَنَّامٍ ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمقري عَن سعيد بن أَخِي أَيُّوبَ حَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ وَهُوَ ابْنُ شَرِيكٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ) [2]" ويزداد التسخط في الناس ، وعدم الرضىٰ بما رزقوا إذا قلت فيهم القناعة ، وحينئذ لا يرضيهم طعام يشبعهم ، ولا لباس يواريهم ، ولا مراكب تحملهم ، ولا مساكن تكنّهُم ؛ إذ يريدون الزيادة علىٰ ما يحتاجونه في كل شيء ، ولن يشبعهم شيء ؛ لأن أبصارهم ، وبصائرهم تنظر إلىٰ من هم فوقهم ، ولا تبصر من هم تحتهم ؛ فيزدرون نعمة الله عليهم ، ومهما أوتوا طلبوا المزيد ، فهم كشارب ماء البحر لا يرتوي أبدًا ، ومن كان كذلك فلن يحصل السعادة أبداً ؛ لأن سعادته لا تتحقق إلا إذا أصبح أعلىٰ الناس في كل

---

[1] سورة النساء: ٧٧

[2] المسند المستخرج علىٰ صحيح الإمام مسلم ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (المتوفىٰ: ٤٣٠هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولىٰ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، ١١٨/٣

شيء ، وهذا من أبعد المحال ؛ ذلك أن أي إنسان إن كَمُلت له أشياء قصُرَت عنه أشياء ، وإن علا بأمور سَفُلَت به أمور؛ لذا كانت القناعة والرضى من النعم العظيمة ، والمنح الجليلة التي يغبط عليها صاحبها"[١] " إذا شئت أَن تحيا غنياً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها ، وقال مالك بن دينار[٢]: أَزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته ، وقال بعض الحكماء:

الرضى بالكفاف يؤدي إلى العفاف ، وَقَال بعض الأدباء: يا رب ضَيق أفضل من سعة ، وعناء خير من دعة " [٣]" وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء والثقة بالقسم ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء ؛ لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال "[٤] قال عمر رضي الله عنه : إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم ، وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال : قلة تمنيك ، ورضاك بما يكفيك ، وفي ذلك قيل :

العيش ساعات تمر ... وخطوب أيام تكر

---

[١] دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار ، شحاتة محمد صقر ،الناشر: دار الخلفاء الراشدين – دار الفتح الإسلامي (الإسكندرية) ، ١/٢٥٥

[٢] مالك ابن دينار البصري الزاهد أبو يحيى صدوق عابد من الخامسة مات سنة ثلاثين أو نحوها ، تقريب التهذيب ، ١/٥١٧

[٣] أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، دار مكتبة الحياة ،

ط: بدون ، ١٩٨٦م ، ١/ ٢٢٧

[٤] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، أبو حاتم، الدارمي ، ١/ ١٥٠

أقنع بعيشك ترضه ... واترك هواك تعيش حر

فلرب حتف ساقه ... ذهب وياقوت ودر ، وكان محمد بن واسع[1]يبل الخبز اليابس بالماء ، ويأكل ويقول : من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد ، وقال سفيان[2]: خير دنياكم ما لم تبتلوا به ، وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم ، وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك ينادى : يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ، وقال سميط بن عجلان[3]إنما بطنك يا بن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار ، وقيل لحكيم : ما مالك قال : التجمل في الظاهر ، والقصد في الباطن ، واليأس مما في أيدي الناس ، وقال ابن مسعود : إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلباً يسيراً ، ولا يأتي الرجل فيقول : إنك وإنك فيقطع ظهره فإنما يأتيه ما قسم له من الرزق ، وقال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غماً الحسود ، وأهنأهم عيشاً القنوع[4]" قال الإمام الحافظ ابن الجوزيّ في صيد الخاطرِ: تَفَكَّرت فِي قَوْلِ شَيْبَانَ الرَّاعِي لِسُفْيَانَ: يَا سُفْيَانُ عُدَّ مَنَعَ اللَّهِ إِيَّاكَ عَطَاءً مِنْهُ لَك ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْك

---

[1] محمد " بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي أبو بكر البصري الزاهد أحد الاعلام روى عن أنس وأبي صالح الحنفي وأبي صالح السمان والحسن وعنه معمر والحمادان وهمام. انظر لسان الميزان ، ٣٧٨/٧

[2] سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي الإمام الكبير أحد الأعلام، ولد سنة سبع وتسعين توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ،غاية النهاية في طبقات القراء ،٣٠٨/١

[3] سميط بن عَجْلان، بصري. يروي عن مؤذن بني عدي. روى عنه الصَّعْق بن حَزَن، وليس هذا بوالد عبيد الله بن شميط ذاك بالشين، وهذا بالسين ، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ، زين الدين قاسم الحنفي ، ١٤٢/٥

[4] إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة – بيروت ، ٣/ ٢٣٩

بُخْلًا إِنَّمَا مَنَعَك لُطْفًا ، فَرَأَيْته كَلَامَ مَنْ قَدْ عَرَفَ الْحَقَائِقَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُرِيدُ الْمُسْتَحْسَنَاتِ الْفَائِقَاتِ فَلَا يَقْدِرُ، وَعَجْزُهُ أَصْلَحُ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَدَرَ عَلَيْهِنَّ تَشَتَّتَ قَلْبُهُ ، إمَّا لِحِفْظِهِنَّ أَوْ بِالْكَسْبِ عَلَيْهِنَّ ، فَإِنْ قَوِيَ عِشْقُهُ لَهُنَّ ضَاعَ عُمُرُهُ ، وَانْقَلَبَ هَمُّ الْآخِرَةِ إلَى الِاهْتِمَامِ بِهِنَّ ، فَإِنْ لَمْ يُرِدْنَهُ فَذَاكَ الْهَلَاكُ الْأَكْبَرُ، وَإِنْ طَلَبْنَ نَفَقَةً لَمْ يُطِقْهَا كَانَ سَبَبَ ذَهَابِ مُرُوءَتِهِ وَهَلَاكِ عِرْضِهِ ، وَإِنْ مَاتَ مَعْشُوقٌ هَلَكَ هُوَ أَسَفًا، فَالَّذِي يَطْلُبُ الْفَائِقَ يَطْلُبُ سِكِّينًا لِذَبْحِهِ "[1]

---

[1] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، ٢/ ٥٣٦

المطلب الثاني : النظر الى العورات

تعريف العورة لغة :

العورة : كل أمر يستحيا منه ، والعورة أيضاً : كل مكمن للستر ، والْعَوْرَاتُ جَمْعُ عَوْرَةٍ ، وهي كل ما يستحيي منه إذا ظهر.

العَوْرة: هي ما يسوءُ الإنسان إخراجه ، والنَّظر إليه ؛ لأنها من «العَوَر» وهو العيب ، وكلُّ شيء يَسُوءُكَ النَّظرُ إليه ، فإن النَّظر إليه يُعتبر من العيب ، وعورة الرّجل والمرأة سوأتهما.

ويقول الفقهاء: ما يحرم كشفه من الرّجل والمرأة فهو عورة[1].

وفي المصباح[2]: كلّ شيء يستره الإنسان أنفةً ، وحياءً فهو عورة[3].

تعريف العورة اصطلاحا :

وستر العورة في اصطلاح الفقهاء هو: تغطية الإنسان ما يقبح ظهوره ويستحى منه[4]

ما يتعلّق بستر العورة من أحكام :

إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولا تستثار فيه هذه الأمور المحرمة ، وتأمل طريقة الشارع الحكيم في سد أبواب

---

[1] انظر إيضاح شواهد الإيضاح ، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (المتوفى: ق ٦هـ) ،دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني ٦٨/١

[2] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية ،بيروت ،٤٣٧/٢

[3] ارشيف ملتقى أهل الحديث (١) ١١٠ / ٢٧٥

[4] انظر المصدر السابق .

الفواحش ، فإن الشريعة لم تحرم الزنا مثلاً فقط وإنما حرمت كل طريق ، وسدت كل منفذ يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة ، تأمل قول الله عز وجل : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[1] ؛ لأن اطلاق البصر بدون ضوابط شرعية يؤدي بصاحبه إلى الفتنة ؛ لذلك هذبنا الإسلام وأمرنا بالاحتشام واللباس قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2] " يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم ، وهو لباس الضرورة ، ولباسًا للزينة ، والتجمل ، وهو من الكمال ، والتنعم ، ولباسُ تقوىٰ الله تعالىٰ بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن ؛ ذلك الذي مَنَّ الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ، ووحدانيته ، وفضله ورحمته بعباده ؛ لكي تتذكروا هذه النعم ، فتشكروا لله عليها ، وفي ذلك امتنان من الله تعالى على خَلْقه بهذه النعم." [3] فشرع الله سبحانه وتعالى الاستئذان اجراء من اجل عدم النظر الى العورات وحفاظا عليها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[4] "

---

[1] سورة النور: ٣٠

[2] سورة الاعراف : ٢٦

[3] التفسير الميسر ، نخبة من أساتذة التفسير ، ١/ ١٥٣

[4] سورة النور: ٥٨

ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ : أي هذه الأوقات المذكورة «ثلاث عورات لكم» لأنكم تحتاجون فيها إلى خلع الثياب ؛ وبذلك يبدو منكم ما تحرصون على ستره ، وتكرهون أن يراه أحد من الناس ، وقيل: أصل العورة من العار؛ وذلك لما يلحق في ظهورها من العار والمذمة "[١] " فللإنسان أحوال من صحو ، وانتعاش ، وجدية ، وانهماك في العمل ، واسترخاء ، وإيثار للراحة من بعد العناء ، ولا شك أن حال الإنسان وقت العمل يختلف عن حالته وقت الراحة ، والنوم ، ويؤثر كل إنسان عنده حياء ، وإيمان ألا يطلع عليه أحد ، ولو من أولاده ، على حالته الخاصة ، وظرفه غير المعتاد ، لذا أمر الله تعالى الأولاد سواء في حال الصغر ، أو بعد بلوغ الحلم أن يستأذنوا على آبائهم ، وأمهاتهم في أوقات ثلاثة : في وقت النوم ، والراحة قبل صلاة الفجر، وأثناء القيلولة في الظهيرة ، وبعد صلاة العشاء "[٢] فعلى المسلم أن يدرك خطورة إطلاق العنان للنفس في كشف ، وتتبع عورات المسلمين " سواء كانت: عورة حسية ، أو عورة معنوية.

فالعورة الحسية : هي ما يحرم النظر إليه ؛ كالقبل ، والدبر، وما أشبه ذلك مما هو معروف في الكتاب ، والسنة

والعورة المعنوية : وهي العيب ، والسوء الخلقي أو العملي ، مما أخبرنا به ، ونهانا عنه نبينا –عليه الصلاة والسلام– في سنته ، ولا شك أن الإنسان كما وصفه الله – عز وجل– في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ

---

[١] أوضح التفاسير ، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، ط السادسة ، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م ، ١/ ٤٣٢

[٢] التفسير الوسيط للزحيلي ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق ، ط : الأولى – ١٤٢٢ هـ ، ٢/ ١٧٦٩

أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[١]. فالإنسان موصوف بهذين الوصفين: الظلم ، والجهل ؛ فإما أن يرتكب الخطأ عن عمد ؛ فيكون ظالما ، وإما أن يرتكب الخطأ عن جهل ؛ فيكون جهولاً، هذه حال الإنسان إلا من عصم الله – عزَ وجلَ– ووفقه للعلم ، والعدل ، فإنه يمشي بالحق ، ويهدي إلى الحق ، وإذا كان الإنسان من طبيعته التقصير ، والنقص ، والعيب ؛ فإن الواجب على المسلم نحو أخيه أن يستر عورته ، ولا يشيعها إلا من ضرورة ، فإذا دعت الضرورة إلى ذلك فلابد منه ؛ لكن بدون ضرورة ، فالأولى ، والأفضل أن يستر عورة أخيه ؛ لأن الإنسان بشر ربما يخطئ عن شهوة ، يعني عن إرادة سيئة ، أو عن شبهة ، حيث يشتبه عليه الحق فيقول بالباطل ، أو يعمل به ، والمؤمن مأمور بأن يستر عورة أخيه ؛ فما دام الستر ممكنا ، ولم يكن في الكشف عن عورة أخيك مصلحة راجحة ، أو ضرورة ملحة ، فاستر عليه ، ولا تفضحه." [٢]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [٣]" الفاحشة: هنا بمعنى الأمور القبيحة ، أو أخبار السوء"[٤]. اي " إن الذين يحبون أن يُفْشوا ذكر القبائح ، فيفشوا معه القبائح نفسها بين

---

[١] سورة الأحزاب: ٧٢

[٢] انظر شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، دار الوطن للنشر، الرياض ، ط : ١٤٢٦ هـ ، ٤/ ٥ –٦

[٣] سورة النور: ١٩

[٤] التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] ، دروزة محمد عزت ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٣هـ ، ٨/ ٣٨٨

المؤمنين ، لهم عذاب مؤلم في الدنيا بالعقوبة المقررة ، وفي الآخرة بالنار إن لم يتوبوا ، والله عليم بجميع أحوالكم الظاهرة ، والباطنة ، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه." [١].

إذا رمْتَ أن تحيا سليماً من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة أمرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن[٢]

" ومن النظر الحرام : النظر إلى العورات ، وهي قسمان : عورة وراء الثياب ، وعورة وراء الأبواب.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ"[٣] " ولو نظر في العورة التي وراء الأبواب ، فرماه صاحب العورة ففقأ عينه لم يكن عليه شيء "[٤] (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ،

---

١ المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة من علماء الأزهر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام ،ط: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، ١/ ٥٢٠

٢ غاية الأماني في الرد على النبهاني ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي ، (المتوفى: ١٣٤٢هـ) ، المحقق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م ٢/ ٣٣

٣ المسند الصحيح ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، ١/ ٢٦٦

٤ تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ١/ ١٠٩

لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ»)[1](وغن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ»)[2]فعلى المسلم أن يعي خطورة ، وعظم تتبع عورات المسلمين ، وأن نهاية ذلك خزي في الدنيا والآخرة ، ولا يعطي نفسه هواها ، وعليه أن يكبح شهوته ، وأن يجاهد نفسه ، وأن يغض طرفه عن عورات ، واحوال المسلمين قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[3]

وعليه أن ينتصر على مطامع نفسه التي تؤدي به إلى هلاكها ، ويسمو بعقله ، وفكره صائن عرضه ، وأعراض المسلمين ؛ ليحظى بالراحة ، والطمأنينة في الدنيا ، والفوز في الآخرة قال تعالى :﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾[4]

---

[1] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، صحيح البخاري ٩/ ١١

[2] انظر المصدر السابق ، ٣/ ١٣٢

[3] سورة النور : ٢١

[4] سورة الطلاق : ٢

الخاتمة

الحمد لله حمداً طيبا ، فهو الذي هدانا إلى الإيمان ، وما كنا ؛ لنهتدي لولا أن هدانا الله .. والصلاة والسلام على الرسول المصطفى ، محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله – سبحانه وتعالى– أنزل على عبده الكتاب ؛ ليكون للمسلمين ، ولكافة الخلق بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى ربه ، وسراجاً منيراً ، وبعد

فقد انتهيت من هذا البحث في النظر والتفكر الذي أسال الله أن أكون قد وفقت في عرضه ، وأن ينفع به الاسلام والمسلمين وأن يكون خالصا لوجهه الكريم وإليكم بعض النتائج والتوصيات وكلها مبثوثة داخل البحث وأوجز ذكرها فيما يلي :

اولاً: النتائج:

- على المؤمن أن يعرف أن مدار قبول أعماله سواء حسية أو، معنوية إخلاصها لله عز وجل.
- إن النظر والتفكر من العبادات الصامتة التي لا تكلف المرء جهدا في استشعار عظم تلك العبادة والأجر المترتب على ذلك .
- الاتعاظ من النهايات المخزية لكل من تجبر وطغى في الأرض بغير الحق .
- عظم مخلوقات الله وعجائب خلقه.
- شرف التفكر عند الله – عز وجل– كما ذكرنا آنفا في آيات القرآن الكريم وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم–
- التفكر يفتح للمؤمن افاق العلم ، والإيمان .
- كل ما زاد تفكر العبد في عظم خلق الله تعالى زادت رقة قلبه ، وخضوعه امام خالق الكون .

- التفكر والنظر في آيات الله الكونية روحانية للقلب ، والعين ، لا يتذوقها إلا من أبحر فيها .
- في التفكر تنجلي الحقائق ، ويتيقن المرء أن ما في الكون الفسيح لم يخلق باطلا ، وكل يسير لحكمة بالغة
- إن القلب له علاقة بالعين ، وإن النظر المحرم يفسد على العبد دنياه وآخرته .
- هجر تلك العبادة سبب في خلل فكر المرء .

ثانياً: التوصيات:

- يتوجب على المسلم الإكثار من النظر ، والتفكر في آيات الله الكونية ، والشرعية ؛ ليزداد يقيناً فيقوى قلبه ويزيد إيمانه .
- الإكثار من الأعمال الصالحة النافعة للمؤمن في الدارين .
- الابتعاد عن كل نظرة محرمة تؤدي بصاحبها للهلاك .
- توطين المسلم نفسه على عبادة النظر ، والتفكر ، والخلو بنفسه ، والابتعاد عن كل ما يشغله ؛ لتتحقق الفائدة المرجوة في القلب والفكر .
- أن يكون المسلم قلبه ، وفكره ظاهره ، وباطنه شاكرا لله على أنعمه التي تفضل بها على خلقه.
- حث المسلمين بعضهم البعض ، والتذكير فيما بينهم على عدم هجران تلك العبادة العظيمة.
- تفعيل دور المراكز الدعوية في الإسهام وإحياء هذه العبادة العظيمة ؛ لأنها من دعائم ، وركائز تقوية الإيمان وزيادة اليقين

– على الإدارات التعليمة والمراكز الدينية الإسهام في توجيه النشء ، والشباب بعدم صرف نعمة النظر في غير أبواب الخير ، والتحذير من مهالك النظر المحرم ؛ لينشأ مجتمع قوي معافى في قلبه وجسده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٢- شرح صحيح البخاري لابن بطال ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

٣- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) ، تحقيق :د مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط: الاولى ١٤١١هـ

٤- انظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت .

٥- شرح الورقات في أصول الفقه ،جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: ٨٦٤هـ) ، قدَّم له وحققه وعلَّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة ،صف وتنسيق: حذيفة بن حسام الدين عفانة ، جامعة القدس، فلسطين ، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٦- مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) محقق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ،الدار النموذجية، بيروت، صيدا ،ط الخامسة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٧- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ،المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط: الأولى ، ٢٠٠١م

٨- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

٩- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ،دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ، ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١٠- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)المحقق: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ .

١١- دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيِر الآيِ والسُّوَر ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير ، دار الفكر - عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

١٢- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)

المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني – د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

١٣– معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

١٤– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

١٥– موقع جامعة ام القرى : مواضيع القران الكريم

١٦– شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ .

١٧– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي

١٨– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري

، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٩- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت

٢٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط : الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٢١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م

٢٢- فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) ،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت ،١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٢٣- جامع البيان في تأويل القران ، محمد بن جرير بن يزيد ين كثير ابو جعفر الطبري (المتوفى ٣١٠) تحقيق : احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط:الاولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٢٤- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ،ط: الأولى – ١٤١٩ هـ

٢٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ

٢٦- أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة ،سعود بن عبد العزيز الخلف،الطبعة :١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ

٢٧- العقيدة في الله ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

٢٨- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

٢٩- شرح العقيدة الطحاوية ، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس ، دار التدمرية الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٣٠- حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد المؤلف: محمد بن عبد الله زربان الغامدي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣٢هـ/٢٠٠٣م.

٣١- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف المؤلف: عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

٣٢- التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي ، دار الوضاح، الأردن – عمان .

٣٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٤- مباحث العقيدة في سورة الزمر ، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٣٥- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة

٣٦- أحكام القرآن ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) ،راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط: الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٣٧- دروس الشيخ عبدالله حماد الرسي ، عبدالله حماد الرسي ، دروس صوتيه قام بتفريعها الشبكة الاسلامية . . http://www.islamweb.net

٣٨- مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

٣٩- نظرات في كتاب الله ،حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٦٨هـ) ، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة ،١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٤٠- تفسير القرآن الكريم ، محمد أحمد إسماعيل المقدم مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

٤١- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، مكتبة دار الزمان الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٤٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفي ٧٥١هـ) ، دار السلفية ، القاهرة ، مصر.

٤٣- دروس الشيخ سعد البريك المؤلف: الدكتور سعد البريك ،مصدر الكتاب دروس صوتيه قام بتفريغها الشبكة الاسلامية.

http://www.islamweb.net

٤٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط: الأولى – ١٤٢٢هـ .

٤٥- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)

جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ، دار الكتب العلمية – لبنان

٤٦– مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ،حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ م

٤٧– الفردوس بمأثور الخطاب ، شيروية بن شهردار بن شيروية بن فناخسرو، ابو شجاع الديلمي الهمذاني المتوفى (٥٠٩) هـ المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

٤٨– دروس للشيخ صالح بن حميد، د صالح بن عبد الله بن حميد مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

http://www.islamweb.net

٤٩– التفسير الموضوعي ، مناهج جامعة المدينة العالمية ، جامعة المدينة العالمية

٥٠– التفسير الواضح ، الحجازي، محمد محمود ، دار الجيل الجديد – بيروت ، ط: العاشرة – ١٤١٣ هـ .

٥١– متن القصيدة النونية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، الطبعة: الثانية ، ١٤١٧هـ .

٥٢– شبكة الألوكة اشراف د خالد الجريسي د سعد الحميد .

http://majles.alukah.net

٥٣- شرح كشف الشبهات ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، المحقق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، طبع على نفقة محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ .

٥٤- التفسير الميسر ، نخبة من أساتذة التفسير ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م .

٥٥- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٥٦- المختصر في التفسير مركز الدراسات الإسلامية ، سورة نوح

٥٧- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.

٥٨- التيجَان في مُلوك حِمْيَرْ ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين عن (المتوفى: ٢١٣هـ) يرويه عن أسد بن موسى أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه رضي الله عنهم تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء – الجمهورية العربية اليمنية ، الطبعة: الأولى، ١٣٤٧ هـ .

٥٩- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ) ، المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعة: الأولى

٦٠- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ المحقق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٦١- تفسير القرآن ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض، السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

٦٢- شرح الشفا ، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

٦٣- التفسير الوسيط للزحيلي ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ ٦٤- تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث – بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٣ هـ .

٦٥- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ .

٦٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ، دار الساقي ، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٦٧- تقريب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ،المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا ط: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

٦٨- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ،ط: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

٦٩- معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٧٠- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

٧١- فتاوى الشبكة الإسلامية ، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠، هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م .
http://www.islamweb.net

٧٢- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد

المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٧٣- دعوة الرسل عليهم السلام ، أحمد أحمد غلوش ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٧٤- قصص الأنبياء ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م.

٧٥- موسوعة فقه القلوب ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، بيت الأفكار الدولية .

٧٦- مجلة البيان (٢٣٨ عددا) ، تصدر عن المنتدى الإسلامي

٧٧- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ ، دار المعرفة – المغرب ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٧٨-فقه السيرة ، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) ، دار القلم – دمشق ، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني ،ط: الأولى ، ١٤٢٧ هـ

٧٩- دراسة في السيرة ، عماد الدين خليل ، دار النفائس – بيروت ،ط : الثانية – ١٤٢٥ هـ .

٨٠- ديوان الشيخ أحمد سحنون ، أحمد سحنون ، ، منشورات الحبر (الجزائر) ، ط: الثانية، ٢٠٠٧ ،

٨١- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، محمد راتب النابلسي ، دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا. ،ط: الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٨٢- زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي ،أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين .

٨٣- أيسر التفاسير ، أسعد حومد .

٨٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٨٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

٨٦- تفسير الشيخ أحمد حطيبة ، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

http://www.islamweb.net

٨٧- أرشيف ملتقى أهل الحديث (١) و (٥) تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م هذا الجزء يضم: المنتدى الشرعي العام .

http://www.ahlalhdeeth.com ،

٨٨- الموسوعة القرآنية المتخصصة ، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٨٩- مختصرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينَ ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان ، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق ، عام النشر: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٩٠- موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان ، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان ، (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤ هـ

٩١- مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ) .

٩٢- تهذيب التهذيب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

٩٣- موضوعات صالحة للخطب والوعظ ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (المتوفى: ١٤٢١هـ) .

٩٤- المفيد في مهمات التوحيد ، الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، دار الاعلام ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ .

٩٥- الضياء اللامع من الخطب الجوامع ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٩٦- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، المحقق: مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٩٧- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ) ، مؤسسة قرطبة – مصر ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م .

٩٨- رفقا أهل السنة بأهل السنة ، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر ، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٩٩- الأمالي = شذور الأمالي = النوادر ، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ) عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية الطبعة: الثانية ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.

١٠٠- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ

١٠١-روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت .

١٠٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

١٠٣- دروس للشيخ عبد العزيز بن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى : ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net

١٠٤- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

١٠٥- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ م .

١٠٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

١٠٧- دروس للشيخ محمد المنجد ، محمد صالح المنجد مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .
http://www.islamweb.net

١٠٨- إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة – بيروت

١٠٩- ذم الهوى ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: مصطفى عبد الواحد مراجعة: محمد الغزالي

١١٠- بستان الواعظين ورياض السامعين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: أيمن البحيري ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الثانية، ١٤١٩.هـ – ١٩٩٨م

١١١- فتاوى الشبكة الإسلامية ، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية ، باب ثمرات التفكر في خلق الكونhttp://www.islamweb.net

١١٢- مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

١١٣- أرشيف ملتقى أهل التفسير ، رابط الموقع: http://tafsir.net رقم ٩٥٤٥

١١٤- أرشيف منتدى الألوكة – ٢ تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م هذا الجزء يضم: مجلس العقيدة والقضايا الفكرية المعاصرة . رابط الموقع: http://majles.alukah.net

١١٥- دروس الشيخ عمر الأشقر ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

http://www.islamweb.net

١١٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

١١٧- العظمة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ) ، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ

١١٨- الزهد لأبي داود السجستاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف ، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

١١٩- السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٢٠- شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج

أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

١٢١– دروس للشيخ سلمان العودة ، سلمان بن فهد بن عبد الله العودة ، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
http://www.islamweb.net

١٢٢– دروس للشيخ صالح بن حميد ، د صالح بن عبد الله بن حميد مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
http://www.islamweb.net

١٢٣– روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت

١٢٤– المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

١٢٥– دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار،: شحاتة محمد صقر ، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي (الإسكندرية)

١٢٦- أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م

١٢٧- لسان الميزان ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م

١٢٨- طبقات القراء الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (يُنشر لأول مرة على نسخة خطية فريدة بخطِّ الحافظ شمس الدين السَّخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ)

١٢٩- إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (المتوفى: ق ٦هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

١٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت .

١٣١- أوضح التفاسير ، محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) ، المطبعة المصرية ومكتبتها الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م .

١٣٢- شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: ١٤٢٦ هـ .

١٣٣- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] ، دروزة محمد عزت ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ .

١٣٤- المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة من علماء الأزهر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام ، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

١٣٥- غاية الأماني في الرد على النبهاني ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ) ، المحقق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

١٣٦- روائع التفسير (الجامع لتفسير الامام ابن رجب الحنبلي) ، زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن السلامي البغداي ، ثم الدمشقي ، ثم الحنبلي ، جمع وترتيب ابي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية ، ط : الاولى ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م . ٤٢٨/٢

١٣٧- سير اعلام النبلاء ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايمز الذهبي ، المتوفى سنة ٨٤٨ ، دار الحديث ، القاهرة ، ط:١٤٢٧هـ ٢٠٠٦ م